لهيب وطيب

سلامة عبيد

مقدمة

الديوان عنوانه (لهيب وطيب)، وهو كذلك، فلو لم يحترق سلامة عبيد في جحيم الآلام لما خرج من رأسه هذا الشعر العربي الفصيح الذي لم تفسده رطانة وميوعة هذه الحقبة.

قلنا إنه تألم والألم معصرة القلوب والعقول، عفواً فلنقل انبيق لأن الطيب يستقطر استقطارا على اللهيب، وأي لهيب أحرّ من لهيب النبك في صحراء نجد التي عرفها سلامة طفلاً مشرداً مع أبيه والعائلة بعدما وضعت الثورة السورية أوزارها.

ومن العنوان ننتقل إلى "حنين" ليظل لحديثنا سياقه، فسلامة يحن إلى الشقاء إذا فقده، ومعه حق، لأن الشقاء محك الأدمغة التي يكمن فيها الشرر، ولو جاز لي أن أنقل القصيدة برمتها لنقلتها، ولكني أخاف من غيرة أخواتها، وأن يعلق الشر بينها وبينهن، وأنا كدت أصير شيخاً ولا قبل لي بإرضاء العذارى، سنكتفي بشيء منها ثم نعود إلى غيرها.

موضوع القصيدة حياة سلامة المنبثقة من صميم قلب الشقاء، وسلامة كما قال ابن المعتز، وأرحم القبح فأهواه، ولذلك يحن إلى بلاياه في النبك فيقول:

ربى النبـــك هـــل تـــذكرين ... الخيـــام لـــديك مبعثـــرة جاثيـــةْ
تحـــاول شمســـك احراقهـــا ... وتصـــفعها ريحـــك الســـافيةْ
وقـــوم عـــرينهم شـــامخ ... رهيـــب بســـمرته القاســـيةْ
أتـــوك ويا حبـــذا واحـــة ... مـــن القيـــد أو ظلـــه عاريـــةْ
وطفـــلا ســـباه جـــلال القفـــار ... وأفياؤهـــا في المســـا ضـــافيةْ
صـــغيراً بـــلا مئـــزرٍ أشـــعثا ... يـــروح ويغـــدو مـــع الماشـــيةْ

ويقتضينا السياق الفكري أن ننتقل من النبك إلى "ابو رمانه" التي كانت حافله بأرداء الشجر فيصفها وصف قصاص ماهر ولا يتخلى عن خياله الشعري حيث يتحدث إلى بنته واصفاً الصبير بلسانها فيقول:

فهـل هـذي القصـور البـيض ... يا ربّي أســـــــــــــــاطير...
أمـــا كنـــا هنـــا أمـــس ... وكانـــت ملعبـــا قفـــرا
وغـــابات مـــن الصـــبّار ... يبـــدي شـــوكها الشـــرّا
يخـــاف النهـــر مرآهـــا ... فيلـــوي خائفـــاً يجـــري

ثم يجيب تلك البنية عما حدا بها إلى التساؤل فيقول لها:

ذكـــرتِ الأمـــس يا بنـــتي ... فمـــاذا كـــان في أمـــس
أمـــا عضـــك ناب الجـــوع ... والحرمـــان واليـــأس
فبعنـــا مـــا تبقـــى مـــن ... طيـــور القـــنّ للجـــار
لأنا لم نعـــد نلقـــى ... لنـــا في بيتنـــا حبـــا
أمـــا أدمـــت ســـياط الـــريح ... ورد الخـــد والـــبرد
وعـــاد المعطـــف البـــالي ... علـــى جنبيـــك ينقـــد

فأشـــعلنا لـــك الموقـــد مـــن كـــرّاس أشـــعاري....

وفي هذه القصيدة التي تعصر القلب يصف ذهابه وبنته إلى الفرن فيلقاهم الخباز بوجهه الصفيق ويتبعونه أذلاء:

وللشرطي إرعاد وللحوذي تجديف

ثم ينتهي إلى إجابة بنته عن القصور الشاهقة التي سألته عنها وقد حلت محل الصبار فتبلغ التجربة كما يعبر شعراء اليوم حدّها الأعلى فيهتف في الختام:

نعـم هـذي القصـور البـيض مـن أكبـادنا تُبـنى
فلـن نبقـى كمـا كنـا عبيـد الـذل والجـوع

إن وصف الجوع في هذه الصراحة لم تقرأ له مثيل إلاّ في العصر العباسي، وهذا نموذج من ذلك الطراز الفريد وهو لأبي الشمقمق الذي قال يصف أولاده في العيد:

وقـد دنا الفطـر وصـبياننا ليسـوا بـذي تمـرٍ ولا أرز
وذاك أن الـدهر عـاداهم عـداوة الشـاهين للـوزّ
كانـت لهـم عنـز فـأودى بهـا وأجـدبوا مـن لـبن العنـز
فلـو رأوا خبـزاً علـى شـاهق لأسـرعوا للخبـز بالجمـز

لكأني بالأستاذ عبيد قد جعل من حياته ملحمة من حيث لا يدري، وهو مع كل ما قاسى من شقاء ظلّ شامخ الرأس كالسنديانة التي لم تطأطئ رأسها للعاصفة، وحسبك من قوله في قصيدة (غدا) الجبارة الحافلة بالرجاء والطموح فيقول:

غـدا.. في غـد تهـدأ العاصـفةْ وتبسـم جناتنـا الوارفـةْ
ويطـوى الحديـد علـى نفسـه وينتحـر السـوط مـن يأسـه

وهو في هذه القصيدة الصغيرة يتخفف من القافية المقيدة الطويلة النفس، ولكنه يظل متأبطاً ذراع الخليل وكأنه من المؤمنين بقول أندريه جيد: يعيش الفن في القيود ويموت إذا أطلقت حريته.

وشاعرنا موضوعاته متعددة وهو حماسي في وصف بلواه، وله تعابير خاصة، وكم كنتُ أرتاح حين كنت أقرأ وظيفته في الدراسة والنقد حين كان عندي في المدرسة.

إن موضوعات هذا الديوان متنوعة وهي مرتبطة بشخصية الشاعر أشد الارتباط وعاطفته العربية متقدة مشبوبة. فقد نشأ في كنف والد مجاهد أبي، وفي ظل أستاذ، ولا فخر، كان للعروبة يوم لم يكن لها أحد إلاّ بعض شعراء مهجريين، وقيدوم هذه الحملة كان الشاعر الملهم رشيد سليم الخوري – الشاعر القروي – الذي ملأ الخافقين رنين قوافيه، وظلّ شاعراً قروياً.

وفي قصيدة (عيد الجلاء) ينحو سلامة نحو الاستاذ ميخائيل نعيمة في قصيدته المشهورة:

أخي إن ضج بعد الحرب.. الخ.

يجب أن نقول أنه عارض لا نحا، لأن الأستاذ نعيمة سلبي، وسلامة إيجابي، ميخائيل حفّار قبور يحمل الرفش والمعول، وسلامة كصخر الخنساء حمال الوية، هباط أودية..... فاسمعه يقول في ساعة النصر:

أخـــي، هـــذا لـــوانا اليـــوم في أوج الســـما حـــرُّ
خفـــوق حولـــه الآمـــال والأحـــلام تفـــتر
فقـــد شـــئناه للعـــزة والإيمـــان عنـــوانا

وكان الحق يرعاه
فـــرف علـــى جبـــين الشـــمس بعـــد اليـــأس نشـــوانا

وبعد أن اشرأب شاعرنا سلامة واشمخر، عاد إلى حني الرأس تمجيداً لذكرى شهداء الثورة التي رافقها سلامة حين شب عن الطوق.
ذكرنا صديقنا فيلسوف الشخروب بهذه المناسبة فلا بد من الإتمام فنقول: قصيدة نعيمة طرية ناعمة وقصيدة سلامة أقرب إلى لسان العرب منها إلى لساننا اليوم.
أما قصيدة (أغنية أم) فكان أحرى أن تعنون: مناحة صامته، وما أروع صرخة تلك الأم حين تهتف بولدها الباكي:

جوعان ما ذنبي ثدبي غدا خرقة

وفي قصيدة الخريف يذكرني بالتشبيه اللبناني حين يصف فوعة الأغربة فيقول:

وعلى شريط الكهرباء أسراب رهبان صغار

وفي قصيدته (الحدود المحطمة) كان كأنه يتنبأ:

وغـــداً سنمشي أمـــة عرباء رائدها النظـــام

وفي قصيدة الحداد يعجبني عشق الجماد الحامي كقوله: يخاطب القيون:

يا مضـــرم النـــيران زدهـــا لظـــى واضـــرب فبـــئس الضـــربة المشـــفقة
يهـــوى الحديـــد النـــار وهاجـــة ويشـــتهي الســـندان والمطرقـــة

ولا عجب في هذا الرأي بعدما علمتنا الكتب أن بعض النساء يلذّ لهن لسع الكرباج متى حمى تنور الهوى... وقصيدة (أهواك) وهي مطلع هذا الديوان الرائع، ولما كنتُ أفتش دائماً عن العبارات الشخصية وأكلف بها يعجبني قوله فيها مخاطباً جبل حوران أو جبل الدروز:

فديتها كل فتى باسل أتقن فن الميتة السامية

وكان العهد أن في سلامة شيئاً من السخر فالظاهر أن المجال لم ينفتح له لأنه شغل نفسه بالفتوة وهو ينقر على وتر لا ينقر عليه أحد في هذه الأيام، لأن الأدباء ينشغلون بالرموز عن الحقائق.

وبقي الرثاء وفيه يبدو سلامة أتوناً مضطرباً وتنورا مسجورا ببيان شهي وعبارات كالبنيان المرصوص مع رطوبة اللولو وبريق الماس.

وما أخذت عليه إلا تأنيث (الرفات)، كما أن لفظة (تتقفقف) لم تعجبني قافاتها وفاءاتها، ولكن الديوان رغم هذه الملاحظة التي كان يجب أن يبرأ منها، يظل في صدر ديوان العرب وهو كتاب الموسم.

عين كفاع

مارون عبود

أهواك

أهواك أيها الجبل
الذي تفجر براكين لاهبة
والذي أنبت فيليب العربي امبراطور روما
والذي قيل فيه:
"جبل الرب، جبل باشان"

ويا حبذا جبل الريان من جبل
وحبذا ساكن الريان من كانا

أهواك
رغم المحاولات الاستعمارية اليائسة
للنيل من تاريخك المجيد.....

أهـــواك، لكـــن بـــين لمـــع الظُّـــبى ... وفي صـــــميم الثـــــورة الداميـــــةْ
وفـــوق أركـــان الســـهّى شـــعلةً ... وقـــــادةً وهاجـــــةً عاتيـــــةْ
يا مـــوطنَ الأحـــرار، فيمـــا مضـــى ... ويا عـــــرينَ الأسُـــد الضـــــاريةْ
لم ألـــــق في مغنـــــاك، واحســـــرتا! ... إلا بقـــــايا رمـــــمٍ باليـــــةْ
يكـــاد يخبـــو النـــور في جوهـــا ... لـــولا ومـــيض العزمـــة الباقيـــةْ

* * *

أيـــن جبـــالُ النـــار؟ مـــا بالُـــها ... بعـــد اتقـــادٍ صـــاخب، غافيـــةْ
وســـفحُك المخضـــرُّ بدّلتَـــهُ ... بســـمرةٍ لاهبـــةٍ صـــاديةْ
لا الطـــير في أرجائـــه تغتـــدي ... لا شـــاعر يشـــدو ولا راويـــةْ
أيـــن الأُلى شـــادوا لـــذكراهُم ... وللخلـــود التحـــفَ الغاليـــةْ؟
تهتـــز رومـــا تحـــت أقـــدامهمْ ... وتنثـــني خاشـــعةً حانيـــةْ
مـــن صـــخرك الأسمـــر، يا مـــوطني ... صـــاغوا لهـــا آلهـــة ثانيـــةْ

* * *

أيـــن الأُبـــوّاتُ الـــتي طالمـــا ... غـــذيتَها في الحِقَـــب الخاليـــةْ؟!
فـــدّيتَها كـــلَّ فـــتّى باســـلٍ ... أتقـــن فـــن الميتـــة الســـاميةْ
يحمـــي حماهـــا صـــارماً مرهفـــاً ... وللمنـــايا صـــولة راغيـــةْ

* * *

يا جبلـــــــي، يا مقطعـــــــاً شـــــــقياً حلـــــواً طـــــروب الـــــوزن والقافيـــــةْ
أهـــواكْ! رغـــم الضـــيم، رغـــم الأســـى رغـــــم ضـــــياع الشـــــهرة الضـــــافيةْ
إن تفقـــــــدِ الدوحـــــــةُ أوراقهـــــــا يومـــــاً، فلـــــن تبقـــــى المـــــدى عاريـــــةْ

السويداء ١٩٣٩

ليتني أنسى

ليتني أنسى.....
قصيدة تتجاذبها ذكريات حلوة
من دمشق.... والربوتين
وسحر من
جبل لبنان.....

ليتـــــني أنســـــى زمـــــاناً طيبـــــاً ... مـــن شـــبابي مـــرّ، بـــين الربـــوتينْ
وأحاديـــــثَ الهـــــوى ريانـــــة ... وتثـــــنّي بـــــردى والضـــــفَّتين

* * *

فـــإذا مـــا الليـــل أرخـــى ســـترَهُ ... وتلاشـــى كـــل همـــس وانـــدثرْ
وتهـــادي البـــدر في عليائـــه ... ورنا الـــنجم بخـــوف وحـــذر
وإذا مـــا الـــريحُ في ثوراتـــه ... ردَّد الآهـــات والغـــاب اقشـــعر
وتمشَّـــت نشـــوةٌ محمومـــة ... في عـــروق الليـــل، واحلـــولى الســـمر
أذكـــر الماضـــي وأبكـــي بـــردى ... وشـــذا الـــوادي وأحـــلام الســـحَر
وزمـــاناً، كلمـــا الليـــلُ هفـــا ... هيجـــت ذاكـــره دمعـــي فـــانهمر

* * *

قيـــل في العـــود عـــزاء يُرتجـــى ... فلـــيرنّمْ وليشـــنف مســـمعي
ولتشعشـــعْ ابنـــة العنقـــود، في ... حلـــك الليـــل، كَـــذَوْبِ الأَدمـــع
علَّهـــا تبعـــث في جفـــني الكَـــرى ... نامـــت الشـــهب ولـــمّا أهجـــع
فتلظـــى القلـــب لـــمّا لثَمَـــتْ ... ابنـــة الكَـــرم برفـــق أضـــلعي
لَهَـــثَ العـــود وأَبـــدى عجـــزه ... وانثـــنى يبكـــي علـــى الماضـــي معـــي
عـــذبتني ذكـــرياتٌ حلـــوةٌ ... واســـتبدت بفـــؤادي الموجـــع

* * *

يا رُبى لبنـــان رفقـــاً وارحمـــي ... وابعثـــي في خـــافقي نـــور الهـــدى
بعـــد مـــا ودعـــتُ عهـــداً طيبـــاً ... لم يـــزل في خـــاطري منـــه صـــدى
عَصَـــف البـــين بأحلامـــي، فـــلا ... بســـمةٌ رفَّـــت ولا عـــودٌ شـــدا..

جئتُ يا لبنان أنسى ما مضى ... فإذا بي قد تناسيتُ غداً
وإذا بي زهرةٌ مهجورةٌ ... لم تزل تهفو إلى ذوب الندى
كلما هبّت عليها نسمة ... أجفلت حيرى وصاحت: بردى

* * *

كفكفِ الدمع فقد هيجتَ في ... هدأة الليل النجوم الساهراتْ
وابتسم للزهر وأمرح في الرّبى ... بين أنغام المياه الشاديات
وابعث الآلام شعراً ملهماً ... في الليالي الهادئات الساحرات
وَدَعِ الماضي وذكراه، وكنْ ... بسمة ريّا عَلَى ثغر الحياة
كيف تبكي؟ والمنى معسولةً ... رفرفت بين الروَّابي الزاهرات
أنت في لبنان، في مهد المُنى ... فلمَ الحزنُ وذرفُ العبرات؟!

* * *

إنْ تكنْ وَدعت وادي بردى ... وأحاديثَ الهوى والضفتينْ
فهنا لبنان في روعته ... جنةُ الدنيا وسحر الخافقين

* * *

عاليه لبنان ١٩٤٠

عودي

عودي.....
قصيدة من خيال طالب
مطلع ربيع ١٩٤٠

عـــودي مـــع الأطيـــار عـــودي يا بســـمة الأمـــل الشـــرود
كـــادت تـــذوب حُشاشـــتي وتقطَّعـــت أوتار عـــودي

* * *

نَثَـــر الشـــباب علـــى جبـــين الأرض أحلامـــاً وســـحرا

فتململـــت وتثاءبـــت واســـتيقظت تختـــال كِـــبرا
لبســـت وشـــاح البـــدر واتخـــذت مـــن الأزهـــار عطـــرا
فترنمـــت زمـــر الطيـــور ورفرفـــت في الجـــو ســـكرى

عـــادت تـــذيب الحـــب والإلهـــام في الأجـــواء شـــعرا

عودي مع الأطيار عودي

راح الشـــتاء ، وعـــادت الأنهـــار تجـــري في الربيـــعْ
رقراقـــةً هـــدّارة ، صـــدّاحة لـــو تســـتطيع
الشـــهب راحـــت تســـتحم بمائهـــا الصـــافي البـــديع
والأرض أَنعشـــها الـــبلال ومبســـم الشـــمس الوديـــع
فتقمَّصـــت ثـــوب الشـــبيبة بعـــد أكفـــان الصـــقيع

عودي مع الأنهار عودي

رشـــفت زهـــور الحقـــل مـــن ثغـــر الصـــباح لمـــاه رشـــفا
فترنَّحـــتُ نشـــوى ، وداعبهـــا النســـيم فكـــان عزفـــا
والنـــرجس الوســـنان بـــين شـــقائق النعمـــان أغفـــى
وتململـــل الـــورد الحســـود وأفعـــم الآفـــاق عَرفـــا
فـــالروض في عـــرس الربيـــع يفـــيض إغـــراءً ولطفـــا

عودي مع الأزهار عودي

أوَ تـــذكرين الغـــاب في تلـــك الليـــالي الســـاحرات؟

والبـــــــدر يلهـــــو ضـــــاحكاً بـــــين النجـــــوم الســـــافرات

وصـــــــدى لحـــــــون العنـــــــدليب وأُنـــــــسَ مزمـــــــار الرعـــــــاة
ونضـــــــارةَ الـــــــوادي، وأفيـــــــاء الغصـــــــون الباســـــــقات

عـــــادت، فلـــــمْ لا تـــــرجعين وأنـــــت إكســـــير الحيـــــاة؟!....

* * *

عـــــاد الربيـــــع ولم تعـــــودي يا بســـــمة الأمـــــل الشـــــرود
كـــــادت تـــــذوب حشاشـــــتي وتقطعـــــت أوتار عـــــودي

* * *

عاليه لبنان ١٩٤٠

العلم العربي

بياض من رايات أمية
وسواد من أعلام بغداد
وحمرة من ثورة العروبة المتوثبة
وخضرة من أمل مقبل.....

اللون الأبيض

علَـــمَ الطهـــر والثلـــوج النقيـــة والأزاهـــــير عـــــاطرات نديّـــــه
رفعتـــك الشـــعوب رمـــز ســـلام واشـــــتياق إلى الحيـــــاة الرضـــــية
أنـــت فينـــا بقيـــة مـــن فخـــار يـــــوم رفرفـــت في يمـــين أميـــة

تحمـــــل الجحفـــــل الخضـــــم إلى النصـــــر وللســـــيف غضـــــبة مُضَـــــرية

فعلـــى الأفـــق مـــن حواشـــيك نـــورٌ وعلـــــى الأرض حلّـــــة سندســـــية
فـــإذا الشـــــرق عزمـــــة ومضـــــاء وإذا الغـــــــرب جنـــــــة عربيـــــة

يا شـــــعاراً لدولـــــةٍ تعشـــــق العـــــدل وتهـــــوى العمـــــران والمدنيـــــة

خالـــد أنـــت في جبـــين الليـــالي ناصـــع اللـــون أوحـــدٌ في البريـــة
ذكّـــر القـــوم إن تناســـوا زمـــاناً حملـــوا فيـــه مشـــعل العبقريـــة
وابعـــثِ العـــزم في الشـــباب فعـــارٌ أن يَهينـــــوا، وأرضُـــــهم ســـــورية

اللون الأسود

بســـواد العـــين والنقـــع المجيـــدِ والمنـــــايا حـــــوَّمٌ تحـــــت البنـــــودِ
رَفعـــــتْ بغـــــداد في وثبتهـــــا علمـــــا أســـــود يُحمـــــى بأُسُـــــود
نعمـــــتْ في ظلـــــه آمنـــــةٌ وتهـــــادت بـــــين أنغـــــام و عـــــود
عـــــرف الشـــــعر زمـــــاناً طيبـــــاً مطلـــــقَ النهضـــــة يـــــزري بالقيـــــود
واســـــتفاق العلـــــم مـــــن رقدتـــــه مشـــــرقَ الطلعـــــة جبـــــارَ الجهـــــود
ورأى العـــــــالم في دولتهـــــــا آيـــــة الرحمـــــة والعـــــيش الرغيـــــد
فمضـــــى التـــــاريخ يعتـــــز بهـــــا ومشـــــت تزهـــــو بأبنـــــاء الرشـــــيد
أيهـــــا الخفـــــاق عـــــزاً ، إننـــــا لم نـــــزل نهفـــــو إلى العهـــــد الســـــعيد
والـــــذي يحمـــــل نـــــبراس الهـــــدى زمنـــــــاً ، يأبى مجـــــــاراة العبيـــــد

اللون الأحمر

رايـــةٌ مـــن ثـــورة الحـــق ســـناها ... شـــعلة حمـــراء تســـمو في علاهـــا
خضـــبتها بالـــدما كـــلُّ يـــدٍ ... قـــبسُ الحريـــة الكـــبرى لواهـــا
في ربى الصـــــحراء ذرت قرنهـــــا ... تغتلـــي عطشـــى فلبينـــا نـــداها
كـــم شـــهيدٍ غيبـــت طـــيّ الثـــرى ... وأبيّ مـــات مـــن أجـــل هواهـــا
وســـيوفٍ أشـــرقت في ظلهـــا ... ومشـــى الحتـــف إليهـــا فطواهـــا
أمَّـــةً آثـــرتِ النـــارَ علـــى ... موكـــب الظـــل فغابـــت في ثراهـــا
لم تنـــل باللـــين مـــا تَنْشـــده ... فتـــولى الســـيف تحقيـــق مناهـــا

* * *

رايـــة الأحـــرار، إنّ أمـــةٌ ... لا تُطيـــق الـــذل يســـري في حماهـــا
في ظـــلام اللحـــد تغفـــو حـــرةً ... وتعـــاف النـــوم مـــرا مقلتاهـــا

اللون الأخضر

مـــن فنـــون الربيـــع ألبستَ بُـــردا ... عـــاطر النشـــر مســـتحباً مفـــدّى
أمـــلٌ يـــنعش النفـــوس ويُـــذكي ... في الحنـــايا عزمـــاً حميـــاً ووجـــدا

كـــلُّ مـــا في الشـــباب مـــن وثبـــة الفكـــر وحـــب التجديـــد ثـــوباً وعهـــداً
ماثـــلٌ فيـــك ، فـــاخلع القـــاتم البـــالي وبـــدّل بالشـــوك فـــلّاً ووردا
أرســـلِ النـــور في ســـما الشـــرق وهجـــاً مشـــرقاً يســـتبيح غـــورا ونجـــدا

فحـــرامٌ أن يغمـــر الجهـــلُ أرضـــا ... عرفتهـــا العلـــوم أمـــا ومهـــدا
واطلب العيش في ظلال المواضي ... فالمواضـــي مـــن أجـــود القـــول أجـــدى

والقـــويُّ القـــويُّ يســـبح في الجـــو طليقـــا مستنســـراً مســـتبدا

* * *

كـــل شـــعب مشـــى الخمـــول إليـــه ... في ديباجـــير مُظلمـــاتٍ تـــردّى
والـــذي يطلـــب الحيـــاة أنوفـــاً ... في طريـــقٍ وعـــر المســـالك جـــدّا

صلخد ١٩٤٠

قلعة صلخد

صلخد.... أو صرخد
قلعة ربضت على مشارف الصحراء
عربية شامخة
هازئة بالعوادي والأعاصير
رغم الدهور.... ورغم التخريب...

رَبضَـــتْ بـــين موحشـــات الـــبراري معقـــلاً فـــوق معقـــلٍ جبـــار

بجـــلال المشـــيب عاركـــه الـــدهرُ وعـــزم الفتـــوة الفـــوار
مثلمـــا يـــربض الرهيـــبُ مـــن الأُســـد ليحمـــي عرينـــه والصـــحاري

* * *

قلعـــةٌ لا لزخـــرفٍ شـــيّدوها بـــل ليـــوم مجلجـــل هـــدار
أرهقـــت كاهـــل الثـــرى قـــدماها وتحـــدَّت بمنكبيهـــا الـــدراري

رحبـــةُ الصـــدر ضـــخمة الهيكـــل الراســـي شمـــوخٌ منيعـــة الأســـوار

الـــديناميس تحتهـــا مظلمـــاتٌ مدهشـــاتٌ تعـــجّ بالأســـرار
مفزعـــات تشـــعبّت لصـــعود مضـــنك أو لبســـطة وانحـــدار
والمنـــايا تطـــل خلـــف كواهـــا في اتقـــاد ونـــزوة وازورار
وعليهـــا مـــن الفَخَـــار دثارٌ عـــربيٌّ؛ أنعـــمْ بـــه مـــن دثار

* * *

غِـــيَرُ الـــدهر فجّـــرت حقـــدها الطـــامي علـــى المســـتخفّ بالأدهـــار
فهـــي تحبـــو مجنونـــةً تمـــلأ الســـهل دوياً والســـفحَ صـــيحةَ ثار
تســـتحثّ الرعـــود والـــبرق والرمـــل وجيشـــاً مـــن ثـــورة الإعصـــار

كلمـــا افـــترّ ثغرهـــا لانتصـــار أوجعتـــه مـــرارة الانكســـار
فهـــي، والخيبـــةُ المريـــرة تعروهـــا، تنـــزَّى كليلـــةَ الأظفـــار

واســـتعانت بالمعـــولِ الظـــالم العـــاتي، فجـــارى، وليتـــه لم يجـــار
أعمـــل الهـــدم ناقمـــاً فلـــو اســـطاع لأودى ببهجـــة الآثار

وانثـــنى خـــائرَ القـــوى، فجبـــينُ الصـــرح عـــالٍ، ومعصـــم الصـــرح عـــاري

صلخد ١٩٤٢

نداء

دعوتُـــــك للجبـــــل الموجَـــــع عليـــلٌ، ضـــئيلُ الرجـــا، لا يعـــي
لهيـــبُ الحميّـــا علـــى شـــفتيه وشـــبه التوقـــد في الأضـــلع

فـــتيٌّ علـــى رغـــم هـــول الشـــحوب عظـــيم الأمـــانيّ والمطمـــع

يســـير، ولكـــن وئيـــد الخطـــى ليلحـــق بالموكـــب المســـرع
وتشـــمخ مـــن حولـــه الرابيـــاتُ اشـــتياقا إلى عـــالم أرفـــع
فيغضـــي وقـــد أرهقتـــه الخطـــوب وأَلـــوت بأنحائـــه الأربـــع
يؤاســـى بشـــتّى الكـــلام الرقيـــق ودنيـــاه دانيـــةُ المصـــرع
ويـــؤمر بالصـــبر، وهـــو الصـــبور علـــى كـــأس آلامـــه المـــترع

وهـــل يرتجـــي العـــوَّدَ المشـــفقين وذوبَ المشـــاعر والمـــدمع

وفي الـــروح وجـــدٌ إلى بلســـمٍ وفي الجســـم شـــوقٌ إلى مبضـــع

* * *

دعوتـــك للجبـــل المســـتحبّ المرجّـــى لمســـتقبل مبـــدع
دعوتـــك ، والأمـــل المســـتطاب يغـــذّي حيـــاتي ويحيـــا معـــي

فبـــادرْ وإلاّ فمـــا حيلـــتي إذا بُـــحَّ صـــوتي ولم أُسمَـــع

السويداء ١٩٤٢

لا تلومي

لا تلـــومي فمـــا مللـــتُ كفـــاحي رغـــم قهـــري، ولا رميـــت ســـلاحي

دغـــدغت حلمـــيَ الســـما، فتململـــتُ ورفرفـــتُ في الفضـــاء المبـــاح
ضـــارباً في الهـــواء مـــلءَ جنـــاحيّ، عظـــيمَ الرجـــا، عظـــيمَ الطمـــاح
النســـيم العليـــل يـــنعش خـــدّي وكـــف العـــلا تؤاســـي جراحـــي

* * *

لا تلـــومي، فمـــا تركـــت الفضـــاء الرحـــب، حبـــاً بعـــالم الأشـــباح
أنا مثـــل الطيـــور، يحفظـــك الله، رفيـــقُ العلـــى، رفيـــقُ الـــرياح
فـــإذا مـــا رأيـــتِ مـــن حـــالق الجـــوّ عُقـــابا يـــنقضّ نحـــو البطـــاح
فهـــو إمـــا لمطمـــحٍ يلمـــس الأرض وإمـــا لكســـرةٍ في الجنـــاح

السويداء ١٩٤١

لست أدري

لســـت أدري حبـــذا لـــو كنـــت أدري أيَّ شـــــيء فيـــــك لا يسْـــــبي ويُغـــــري..
قـــدَّكِ الممشـــوقُ يا أُخـــتَ الـــربابِ أم صـــــفاءَ اللـــــون أم بُـــــرد الشـــــباب

أم لذاذات الحديث المستطاب

والحيـــا يرســـي علـــى الخـــد ويجـــري في قلـــوع مـــن خيـــوط الفجـــر حمـــر
أي عطـــــر لم يضـــــمِّخ راحتيـــــكِ أي ســـــحر لم يفـــــض مـــــن مقلتيـــــك؟!

أي خمر لم تجل في شفتيك؟!

عبثـــاً يطمـــع في الســـكرة ثغـــري وفـــؤادي مغلـــقٌ عـــن كـــل سُـــكْر
كل ما في الكون حلو يا أَخيّه كـــل وجـــه فيـــه أســـرار خفيّـــةْ

تغمر الروح بأحلام نديةْ

غـــيرَ أني واجـــدٌ فيـــك، لعمـــري كـــل آمـــالي وأحلامـــي وشـــعري

* * *

ذاك لغـــز، هـــل أرى للغـــز حـــلاً فلقـــد يشـــفي إذا وُفِقّـــتُ غُـــلا

وَجَم اللبُّ، وصاح القلب كلا

مـــن تـــرى يـــدرك غـــيري كُنْـــهَ أمـــري لســـت أدري... حبـــذا لـــو كنـــت أدري

السويداء ١٩٤٠

جـــرِّدِ الســـيف إن أردت انتقامـــا ... لا شِـــــباكا مبثوثـــــةً وحبـــــالا
إنَّ للســـــيف، يا جمـــــال، رنينـــــاً ... مطـــرباً يـــؤنس النفـــوس الثكـــالى
وهـــو إن عـــانق الرقـــاب يـــروّي ... نصـــلَه والـــربى وهـــذي الرمـــالا
أعمـــلِ الفـــأس والرصـــاص وأشـــعل ... جســـد القـــوم، هائجـــاً إشـــعالا
غايـــةُ الظلـــم أن تمـــوتَ الضـــحايا ... والشـــــرايين بالـــــدماء حبـــــالى

السويداء ١٩٤٣

للبنان مرحى
في ثورته التحررية
على الاستعمار
عام ١٩٤٣

لبنـــان مرحـــى، أنهـــا وثبـــةٌ ... قـــرَّت بهـــا عـــين الوفـــا الســـاهدةْ
جبـــارةً، عـــرباء، لا تنثـــني ... في ســـيرها صـــاعدةً راشـــدةْ
أدركْـــتَ فيهـــا أننـــا ســـادة ... وأمـــة، رغـــم القضـــا، واحـــدةْ
لا الأرز في أطوادهـــا خالـــد ... ولا نخيـــل الواحـــة الراكـــدةْ
ولا مغـــاني بعلبـــكَّ الـــتي ... تســـبي، ولا صـــحراؤها الهاجـــدةْ
لكنمـــا روح الإبا وحـــدها ... روح الإبا في صـــدرها خالـــدةْ

السويداء ١٩٤٣

ذكرينا

ذكرينا....
مقدمة لرواية اليرموك
التي مثلت بحضور
سلطات الانتداب الفرنسي في السويداء
وألقيت فيها هذه القصيدة....

ذكّرينـــا، فقـــد أَلِفْنـــا التصـــابي ورخـــيصَ الهـــوى ورجـــعَ الـــرباب
ونســـــــينا أيام كنـــــــا أباةً نمـــلأ الكـــون بالنـــدى والشـــباب

* * *

يا ضـــفاف اليرمـــوك مالـــك أقفـــرت مـــن الشـــم والأســـود الغضـــاب؟
يا ضـــفاف اليرمـــوك مالـــك أغضـــيت علـــى غمـــرة الزمـــان المحـــابي
يا ضـــــفاف اليرمـــــوك آن لـــــك البعـــــث فميـــــدي وهللـــــي يا روابي

* * *

جبلـــي؟ هـــل شـــهدتَّها وهـــي ترتـــجّ ارتجـــاج الرعـــود خلـــف الســـحاب
مائجـــات ، مجلجـــلات الهتافـــات ، حيـــارى، محمومـــةَ الأعصـــاب
تحـــت أقـــدام أمـــة تطلـــب الفتـــح وجـــيش مظفـــر غـــلاب
ربـــض الـــروم فوقهـــا يطلبـــون الثـــار حمـــرَ العيـــون والأنيـــاب

أثقلـــوا الســـفح بالحصـــون الرواســـي وقبـــابٍ تمتـــد خلـــف قبـــاب
وســـــلاحٍ مقعقـــــع وجيـــــوش عـــددَ الرمـــلِ والحصـــى والـــتراب

بـــــين رامٍ ورامـــــح وأخـــــي درع وحـــــر وطـــــامع في نهـــــاب

أزمعـــوا ســـحق أمـــة تتنـــزى نـــزوانا في عزمهـــا الـــوثاب
أمـــــةٍ يعربيـــــةٍ جبلتهـــــا راحـــة الـــدهر مـــن صـــليل الحـــراب

* * *

ذكرينـــــا تاريخنـــــا وعُـــــلانا وأحاديـــثَ مكرمـــاتٍ عـــذاب

ذكرينـــــــــــا أيام كنـــــــــــا أباةً نمـــلأ الكـــون بالنـــدى والشـــباب

السويداء ١٩٤٣

يا بلادي

يا بـــــلادي؟ أنا إنْ لم أطلـــــبِ العـــــيش عزيـــــزاً في ربوعـــــك
فالردى أشهى وأولى من هجوعي وهجوعك..

أيُّ شـــــيء فيـــــك يرضـــــى مـــــا رضـــــينا. . . . . .
ويلاقـــــي صـــــولة الجـــــور ذلـــــيلاً مســـــتكينا. . . . . .
ويطيـــــق الأســـــر والإرهـــــاق والقيـــــد ســـــنينا؟!. . . . . .

* * *

أنِفَـــــتْ هـــــذي الـــــروابي الشـــــمُّ أن ترضـــــى الهـــــوانا
فتســـــامت في الفضـــــاء الرحـــــب تُـــــذكي العنفـــــوانا
لم تُمكِّـــــن مـــــن ذرى هاماتهـــــا شـــــعبا ســـــوانا

* * *

والـــــبراري تســـــرح الغـــــزلان فيهـــــا والظبـــــاءُ
ويـــــرف الطـــــير نشـــــوانَ ويلهـــــو مـــــا يشـــــاء
أســـــكرته النســـــمة البكـــــر وأغرتـــــه الســـــماء

* * *

والأزاهـــــير كســـــاها الطـــــل ســـــحراً وجمـــــالاً
فتثنّـــــت تمـــــلأ الـــــوادي عبـــــيراً ودلالا. . . . . .
وجـــــرى النهـــــر علـــــى أقـــــدامها عـــــذبا زلالا. . .

* * *

كـــــلُّ مـــــا في أرضـــــنا يأنـــــف أســـــرا
ويريـــــد العـــــيش في دنيـــــاه حـــــرّا
فلمـــــاذا نقبـــــل الضـــــيم وطعـــــم العـــــيش مـــــرا؟!
يا بـــــلادي؛ لَـــــنْ تكـــــونَ الطـــــير والغـــــزلان أسمـــــى مـــــن بنيـــــكِ
ســـــنلاقي المـــــوت أو نحيـــــا أباة الضّـــــيم فيـــــك

يا بلادي

السويداء ١٩٤٣

تحية لبنان

تحية لبنان.....
في ثورته الاستقلالية ١٩٤٣
هذه الثورة التي اندفع لتأييدها
أكثر ما اندفع من السويداء
طلاب المدارس والشباب. . .
الذين قاموا بالمظاهرات الصاخبة
الثورية. . . . . .

لـــك يا ربـــوع تحيـــةٌ بكـــرُ وهـــوى يحـــق بمثلـــه الفخـــر
يا معقـــلاً رَبَـــضَ الجـــلال عَلـــى أقدامـــه وتمـــرَّغ الـــدهر
طمعـــتْ بـــك الـــدنيا، ومـــا علمـــت أن الطريـــق مصـــعِّدٌ وعـــر
وتـــدافعت موجـــاً يجـــيء بـــه مـــدٌّ، ويكـــبح بعضَـــه الجـــزر
فتحطّمـــت مقهـــورةً ومضـــت تشـــكو، وبـــين ضـــلوعها جمـــر
فعلـــى ســـفوحك مـــن مـــدامعها درٌر ومـــن مهجاتهـــا تـــبر

* * *

لبنـــان، والآلام تجمعنـــا ورؤىً معطـــرةُ اللمـــى خضـــر
وصـــنائعٌ بـــيضٌ تَعشَّـــقها وهفـــا لمثـــل أريجهـــا الزهـــر
ودمٌ تعصَّـــبت العصـــورُ بـــه فبـــدت وحـــول جبينهـــا فجـــر
يُرضـــي العروبـــةَ مـــا بـــذلت لهـــا وتعـــود بعـــد الهجـــر تفـــتّر

* * *

لبنـــان جئـــتُ بنيـــك معتـــذراً عنّـــا، ولـــيس لمثلنـــا عـــذر
هـــم للســـيادة والحيـــاة مَشَـــوْا وســـيوفُهمْ رعافـــةٌ حمـــر
هبـــوا إلى اســـتقلالهم، وعَلَـــى أكبـــادهم مكلومـــةً مـــروا
وبنـــو البراكـــين الغواضـــب، في أسمـــاعهم وقلـــوبهم وقـــر
فكـــأنهم لـــولا فـــراخهُمُ إمَّـــا دعـــوتَ حجـــارةٌ سمـــر
زغـــبُ الحواصـــل لـــو رأَيـــتهم والشـــامتون بســـعيهم كُثُـــر
لرأيـــت كَيـــف يكـــرُّ منتقمـــاً لبـــني أَبيـــه ويغضـــب الحـــر

* * *

جبلـــي، وإن عَبَـــثَ الزمـــان بـــه وأَضـــاع بعـــض روائـــه الأســـر
ســـيظل منتصـــبا تـــرفُّ عَلَـــى جنباتـــه أَيّامـــه الغـــر

السويداء ١٩٤٣

أخاف

أَخـــافُ، أَخـــاف أَن يخبـــو لهيـــبُ العـــزم في صـــدري
وقـــد أَمســـى رمـــادُ اليـــأس أَكْوامـــاً علـــى جمـــري
فـــأَذوي، مثلمـــا يـــذوي ربيـــبُ الجـــو في الأَســـر
فـــلا الجـــوزاء تغريـــه ولا أَنشـــودة الفجـــر

* * *

أَخـــاف، أخـــاف أَن يمشـــي عَلـــى غـــير الهـــدى، قلـــبي
وأن يحيـــا لغـــير الصـــدق والإيثـــار والحـــب
وان يهجـــرني أنســـي ولـــينُ المنطـــق العـــذب
فأَمضـــي حـــائراً أَســـلك درباً لم يكـــن دربي!....

* * *

رفيقـــي، لا تلمـــني إن رأَيـــتَ مخـــاوفي شـــعرا
وإني بالـــذي ينتـــاب نفســـي، يا أخـــي، أَدرى
وإِني إن ضـــمنت القلـــب، والهمـــة، والفكـــرا
أخـــاف، أخـــاف ألاَّ أَضـــمن الأيام والـــدهرا

السويداء ١٩٤٤

حنين. . . . . .
إلى واحة النبك
في صحراء نجد
التي لجأ إليها قادة الثورة السورية
لعام ١٩٢٥ – ١٩٢٧
والتي عاش فيها الشاعر
طفلا، بلا مئزر. . . أشعث . . .
حنين إلى واحة في صميم القفار
انتصب حولها خيام المجاهدين
الذين آثروا الحرية والحرمان . . .

نعـــم، أنا أحببـــت هـــذي الربـــوعَ وبســـمةَ أجوائهـــا الصـــافيةْ
وأحببـــت فيهـــا عبـــيرَ الزهـــور وأنشـــودةَ القمـــح والســـاقيةْ
ولكـــنّ لي خافقـــاً لم يـــزل يحـــن إلى بقعـــة نائيـــةْ
إلى واحـــةٍ في صـــميم القفـــار معفـــرة المنحـــنى خاليـــةْ

* * *

رُبى النبـــك! هـــل تـــذكرين الخيـــام لـــديك مبعثـــرةً جاثيـــة؟!

تحـــاول شمســـك إحراقهـــا وتصـــفعها ريحـــك الســـافيةْ
وقومـــاً عـــرينُهُمُ شـــامخٌ رهيـــب، بســـمرته القاســـيةْ
أبَـــوْا أن يـــرِوْهُ لغـــير العلـــى وأن يســـتبدّ بـــه الطاغيـــةْ

فخلـــوهُ مخضوضـــبَ الجـــانبين وأحشـــاء روّاده داميـــةْ

أتَـــوْك ويا حبـــذا واحـــةٌ مـــن القيـــد أو ظِلّـــهِ عاريـــةْ

وطفـــلاً ســـباه جـــلالُ القفـــار وأفياؤهـــا في المســـا ضـــافيةْ

صـــغيراً، بـــلا مئـــزرٍ أشـــعثاً يـــروح ويغـــدو مـــع الماشـــيةْ
رعاهـــا، ليُشـــبعَ في نفســـه اشـــتياقاً، إلى خلـــوة هاديـــةْ
يـــردد مـــا جـــال في رأســـه وأغنامُـــهُ ترتعـــي ثاغيـــةْ
فتصـــغي الصـــحارى لأنشـــودةٍ مخلّعـــة الـــوزن والقافيـــةْ

* * *

نعـــم، لـــو رَجَعـــتُ إلى واحـــةٍ معفـــرة المنحـــنى خاليـــةْ
لقبّلتُهـــا قبلـــة العاشـــقين وأرســـلتها زفـــرةً كاويـــةْ

تـــذوّب في حرّهـــا الـــذكرياتِ وتشـــفي حنيـــني إلى الباديـــةْ

السويداء ١٩٤٤

يومك اليوم

الشيخ صالح العلي
من جبال اللاذقية
أول ثائر على الاستعمار الفرنسي
وأول حلقة من حلقات
تلك الثورات المستمرة
التي كان فجرها
الجلاء والحرية والوحدة
وفي هذه القصيدة
التفاتة إلى دمشق بنت قاسيون
لتمسح الجراح التي خلفها الاستعمار
جراح التفرقة وزرع الشر ... والإهمال

ألقيت في حفل تكريم "الشيخ صالح العلي" باللاذقية

يومُـــك اليـــومُ فميـــدي يا ربانا ... وانـــتفض يا ســـهلُ زهـــوا وافتتـــانا
واحمليهـــا يا نســـيماتِ الصـــبا ... مـــن مغانينـــا تحيـــاتٍ حســـانا
أنـــتِ أذكـــى لـــو تنفســـتِ شـــذاً ... أنـــت أسمـــى لـــو تكلمـــت بيـــانا..

* * *

يا زعيمـــي يا ابـــنَ ســـوريا الـــتي ... لم يزدهـــا العنـــف إلا عنفـــوانا
أنـــت في هـــوج الليـــالي قـــبَسٌ ... ســـدَّدت أنـــوارهُ الحمـــرُ خطـــانا
والأعاصـــير الـــتي هبـــت علـــى ... ناره لم تلـــق إلا ثَـــوَرانا
فانثنـــت مـــذعورةً مـــن غضـــبة ... تمـــلأ الجـــو لهيبـــا ودخـــانا
ومشـــينا قُـــدُماً في ضـــوئه ... وتركنـــا نتـــف القيـــد ورانا
في طريـــقٍ صـــاعدٍ مخضوضـــب ... وصـــعابٍ لم يـــذللها ســـوانا

* * *

يا زعيمـــي، لســـت أشـــكو زمـــني ... غفـــر الله لمـــن أغـــرى الزمـــانا
يـــوم كنـــا والمنـــايا حُـــوَّمُ ... تغتلـــي تحـــت لـــواهم ولـــوانا
فتلاقـــي شـــيخَنا متقـــدا ... وتلاقـــي باســـمَ الثغـــرِ فتـــانا
وتلاقـــي أُسُـــداً أشـــبالنا ... ولبـــؤاتٍ غضـــوباتٍ نســـانا
نشـــبع الحومـــة مـــن أشـــلائنا ... ونروّيهـــا، كرامـــاً مـــن دمـــانا
مـــا تركنـــا الســـيف إلا مقبضـــاً ... والجيـــاد الضـــمر غرثـــى تتـــوانى
وجيوشـــاً حطمتهـــا عصـــبة ... تقحـــم المـــوت وتأبى أن تهـــانا

نثرتْهـــا فـــوق أعطـــاف الثـــرى مثلمـــا يـــذري الوريقـــات شـــتانا

* * *

يا زعيمـــي، وطـــنُ العـــرب الـــذي لم ينـــل إلا اعتســـافاً وامتهـــانا
أنعشـــته بعـــد يأس ســـاعةٌ صـــافحَتْ فيهـــا يـــدَ الشـــام يـــدانا
فـــرأى فينـــا حســـاماً صـــادقاً ورأى فيهـــا جناحـــاً وجنـــانا
فتمطـــيّ نَمِـــراً مستنســـراً ومضـــى يطلـــب في الجـــو مكـــانا

* * *

بنـــتَ قاســـيون، رُبانا تشـــتكي فـــاسمعي صـــوت نـــداها ونـــدانا
إنهـــا عطشـــى فكـــوني غيثهـــا واغمـــري الســـفح اخضـــراراً وحنـــانا
إنهـــا كلمـــى فكـــوني بلســـماً وامســـحي الجـــرح المـــدمّى يا رجـــانا
غَضِـــبَ الـــدهرُ عليهـــا زمنـــاً فرماهـــا بالـــرزايا ورمـــانا
شـــرَّدَ الأحـــرار عـــن آجامهـــا وأعـــزّ العبـــد فيهـــا والجبـــانا
ورعـــى الشـــر فكـــدنا أن نـــرى خصـــمنا في نصـــرة الحـــق أخـــانا

* * *

بنـــتَ قاســـيون أجيـــبي صـــوتنا فلقـــد عشـــنا نلـــبيّ مـــن دعـــانا

جـــبلانا حصـــنُك الراســـي، ومـــا أرهـــق الـــرُّواد إلا جـــبلانا

اللاذقية ١٩٤٥

الصفحة الأخيرة

يا صـــديقي، هـــذه الصـــفحة أطويهـــا فـــأطوي بعـــض عمـــري
وأخـــــــبيّ في زواياهـــــــا شـــــــباباً كـــــــان يغـــــــري
مـــــر عجـــــلانَ، علـــــى حلـــــوٍ مـــــن العـــــيش ومـــــر

* * *

لم يخلِّـــــفْ غـــــيرَ مـــــا أمـــــلاه روحـــــي وفـــــؤادي
غَضَـــــــباتٍ لبـــــــني قـــــــومي وتيهـــــــاً بـــــــبلادي
واشـــــــتياقاً لبواديهـــــــا و سمـــــــارِ النـــــــوادي

* * *

وإذا مـــــــال علـــــــى أوتار أحلامـــــــي وحـــــــبي
وتغـــــــنى بأناشـــــــيد الربيـــــــع المســـــــتحب
فهـــــي مـــــن ترديـــــد أنفاســـــي ومـــــن دقـــــات قلـــــبي

يا صديقي

السويداء ١٩٤٥

غضبة

أينكـــــــرون بأنّا لم نـــــــزل عَـــــــرَباً ... نبـــــني ونهـــــدم أعراشـــــاً وتيجـــــانا
وأننـــــــا نمـــــــلأ الآفـــــــاق حمحمـــــــةً ... والجـــــــوُّ نملـــــــؤه نارا وعقبـــــــانا
جـــــار الزمـــــان وأدمتنـــــا براثنـــــه ... ومزقـــت وطـــنَ الأحـــرار أوطـــانا
وحـــــاول الـــــدهر أن نرضـــــى بـــــذلتنا ... وأن تصـــير أســـود الغـــاب غـــزلانا
واليـــومَ عُـــدنا نـــروّي الســـفح مـــن دمنـــا ... ونُشـــبعُ الأرض مـــن أشـــلاء قـــتلانا
حـــتى يـــرى الكـــون أنا لم نـــزل عـــرباً ... نبـــــني ونهـــــدم أعراشـــــاً وتيجـــــانا

١٩٤٥

قبل النكبة

فلســـطين كانـــت وظلـــت لنـــا وتبقـــى لأحفـــادنا مرتعـــا
عبـــيرُ النبـــوة في تربهـــا يعطِّـــر أجـــواءنا مشـــبعا

وأمجـــدُ مـــا في تـــراث العصـــور تخـــيّر في أرضـــها مضـــجعا

ســـتحيا بنـــا حـــرةً لا تضـــام وأقـــدسَ مـــا في الـــدنى موضـــعا

وإلاّ فنورثهـــا الناعقـــات ونتركهـــا بعـــدنا بلقعـــا

١٩٤٥

الحدود المحطمَة

الحدود المحطمة. . .
حدود أقامها الاستعمار
بين الجبل ودمشق
فحطمتها الحركات التحررية
في عام ١٩٤٥
بعد أن ظلت حراب المستعمرين
تحرسها طوال ربع قرن. . . . .

اليـــومَ، نفتـــتحُ الطريـــقَ فـــلا هجـــوعَ ولا رجـــوع

* * *

اليـــــومَ، لا حـــــدٌ يحـــــاول أن يصـــــدّ ولا قيـــــودْ
ســـــقطت مهشـــــمة تحـــــاول أن تعـــــود ولـــــن تعـــــود
لتظـــــل أمتنـــــا موحـــــدة العـــــزائم والجهـــــود

اليوم نفتتح الطريق
نمشـــي علـــى أشـــلائنا ودم الضـــحايا الأبـــرياء

وجمـــــاجم الأحـــــرار والأســـــد الكمـــــاة الأوفيـــــاء
مـــن خضـــبوا الســـفح الرهيـــب وعطّـــروا كبـــد الســـماء

اليوم نفتتح الطريق
وغـــــداً سنمشـــــي أمـــــةً عـــــرباء رائـــــدها النظـــــام
والتضـــــحيات، وهمـــــةٌ شمـــــاء تأبى أن تضـــــام
ونســـــير بالعهـــــد الجديـــــد، إلى الأمـــــام، إلى الأمـــــام

اليوم نفتتح الطريق

السويداء ١٩٤٥

البلبل

البلبل هو الشاعر... والغاية بلده
والريح، ريح السيطرة الأجنبية....
التي تحولت إلى إعصار في عام ١٩٤٥

الـــريح تعـــوي في الـــروابي العـــاريات وتعصـــفُ
والغـــاب مرتعـــد يضـــج مـــن الســـياط ويرجـــف
والليلـــة الهوجـــاء عابســـة تـــئن وتصـــرف
والبلبـــل الحـــيران في قيـــد المخـــاوف يرســـف
متجمّـــعٌ، قلـــقٌ، يفـــيض مـــرارة لا توصـــف
المخلـــب الـــدامي يطـــارده ولا يســـتنكف
والافعـــوان يطـــل في نَهـــمٍ عليـــه ويزحـــف

* * *

يا بلبلـــي! أتظـــلُّ مضـــطربَ الـــرؤى تتقفقـــف؟!
تهفـــو إلى وطـــنٍ يظِلّـــك فيـــه غصـــن مـــورف
أردانـــهُ ريانـــةٌ والريـــحُ رطـــبٌ زفـــزف
والطـــير بـــين الـــورد والعشـــب النضـــير ترفـــرف
في مـــأمنٍ، أذُنَ الخمائـــلِ والســـماء تشـــنّف

* * *

فـــإذا نأيـــتَ، فمـــن علـــى الغـــاب المعـــذب يعطـــف
مـــن ذا لـــدى الكـــرب الملـــمّ يثـــور أو يســـتعطف
مـــن ذا يمهّـــد للربيـــع المســـتحب ويهتـــف

* * *

يا طـــير دع أمـــل الفِـــرار فـــبعض صـــبرك أشـــرف
واعـــزف فمثلـــك مـــن اذا وجـــم الصـــوادح يعـــزف

السويداء ١٩٤٥

في ٢٩ أيار ١٩٤٥
نشطت الثورة التحررية
ضد الاستعمار الفرنسي في دمشق
وفي كل مكان في الإقليم السوري..
وكان قائد الجيش الفرنسي يشرب..
ويأمر بضرب المدينة
بالطائرات والمدفعية
ويأمر باقتحام المستشفيات
والمتاجر والمعابد
ويأمر بتهديم المجلس النيابي
على من فيه من حامية
فيبيحه ويبيح المدينة
وينسى أنه لم يلق هنا غير الشفقة
بعد أن هزمته ألمانيا وداست كبرياءه
وثارت سوريا كلها على الطغاة
فهزمتهم في كل مكان..
وكان أبرز انتصار في هذه المعركة
انتصار السويداء
التي أسرت الحامية الفرنسية فيها
في حركة انقلاب رائعة
فقدرت، وعفت
وتناست ما جره الانتداب عليها
من كوارث ومذابح
فكانت أروع مثل عربي
في الشجاعة وكرم الأخلاق...

مـــــنْ دِمـــــانا، أيهـــــا الســـــفَّاحُ، مـــــن دمـــــعِ اليتـــــامى والأيامـــــى

أترعِ الكأس مُداما

وأدرهـــــا بـــــين أشـــــلاءِ الضـــــحايا واستـــغاثاتِ الثكالـى والسبـــــــــايا...
وزئير المدفع الطاغي وأنات الشظايا أتـــــرعِ الكـــــاس وناولهـــــا النـــــدامى

من دمانا، أيها السفاح، من دمع اليتامى والأيامى...

أمطـــــرِ الشـــــام حديـــــداً ولهيبـــــاً واســـــتبح فيهـــــا هـــــلالا وصـــــليبا

واذبحِ المرضى، ولا تخش عذولاً أو رقيبا

عـــذّبِ الأســـرى ونكّـــلْ مـــا تشـــاء وإذا الرعـــب تـــولاك، وأضـــناك العيـــاء

مـــــن دمـــــانا، أيهـــــا الســـــفاح ، مـــــن دمـــــع اليتـــــامى والأيامـــــى

أترع الكأس مداما

أرســـل العبـــدان تُصْـــلِ النـــاس نارا وتحـــوّلْ جنـــةَ الـــدنيا يبـــاباً ودمـــارا

وتقتّلْ كلَّ من تلقى: شيوخاً وعذارى
لهـــم المتجـــر والمحـــراب، والقبـــة حـــلُّ وإذا كلُّـــوا مـــن التـــدمير والســـلب وملـــوا

أترع الكأس وناولها الندامى

مـــــن دمـــــانا، أيهـــــا الســـــفاح، مـــــن دمـــــع اليتـــــامى والأيامـــــى

أيُّ ذنـــب كـــان منّـــا؟! أي شـــرٍّ عـــدتَ منهوكـــا فآوينـــاك مـــن حـــر وقـــرِّ

وتناسينا نداء الثأر، والأيام تُغري
فكســـوناك وأطعمنـــاك خبـــز الفقـــراء وطلبـــت المـــاء عطشـــانَ، بـــذلٍ ورجـــاء

فســـقيناك مـــداما، مـــن دمـــانا، أيهـــا الســـفاح، مـــن دمـــع اليتـــامى والأيامـــى

وقـــــــدرنا، فعفـــــــونا وحَمَيْنـــــــا ورحمنـــا دمعـــة الأســـرى ولم نســـتوف دَينـــا

وتغاضينا عن الماضي وما جرّ علينا
من عذاب واضطهاد وإسار... وافتراش الرمل والأشواك في عرض الصحاري

من عذاب

ودّع الشـــام كمـــا جئـــت، بشـــرٍ مســـتطير
بـــــين أنات الضـــــحايا والـــــزفير
وإذا خِفْـــــتَ الظمـــــا غِـــــبَّ المســـــير

مـــن دمـــانا، أيهـــا الســـفاح، مـــن دمـــع اليتـــامى والأيامـــى

أترع الكأس مداما
فلقـــــد عشـــــنا كرامـــــاً، وســـــنبقى أبَـــــدَ الـــــدهر كرامـــــا

السويداء ١٩٤٥

في ذمة الله

عادل النكدي
شاب من بلدة عيبة، لبنان
ترك جامعته في لوزان (سويسرا)
ليلتحق بالثورة السورية
جندياً من جنودها
وشهيداً من شهدائها
دفن في غوطة دمشق
ثم نقلت رفاته إلى مسقط رأسه...
في احتفال مهيب....

لي مثـــلُ مـــا لـــك، أعمـــام وإخـــوانُ

في حومـــة الحـــق مـــا ذلـــوا ومـــا لانـــوا

ضـــجوا مـــن القيـــد، بعـــد القيـــد ، يُحكمـــه

معربـــد، مـــن خمـــور (الســـين) نشـــوان

فاستنصـــروا البـــيض والجـــرد العتـــاق، فمـــا

هانـــت علـــى جيشـــه الطـــاغي ومـــا هـــانوا

أكـــــرِمْ بهـــــا ثـــــورةً، دوّت مجلجلـــــةً

كمـــــا تفجّـــــر في الظلمـــــاء بركـــــان

خاضـــــوا لظاهـــــا، وللنـــــيران زمجـــــرة

والمـــــوت مُنهـــــرت الشـــــدقين، حـــــرَّان

في ذمـــــة الله، مـــــن صـــــانوا كرامتنـــــا

إمـــــاّ أُســـــتُفِزَّتْ، ومـــــن قربانَهـــــا كـــــانوا

فـــلا تغالـــب دموعـــا، كلمـــا ظفـــرتْ

محمومـــــةً، صـــــدّها كِـــــبْرٌ وســـــلطان

فلســـــتَ أولَ مـــــن يبكـــــي مهنـــــده

وكلنـــــا كبـــــد حّـــــرى وأشـــــجان

* * *

يا قـــبرُ، لم تـــك منســـيّاً، فـــلا عتـــبٌ

ولم يـــــزر مهجـــــة المحـــــزون سُـــــلوان

مـــــا أنـــــت ناءٍ ولا الـــــذكرى ببارحـــــةٍ

ولا رفـــــاق فتـــــاك النجـــــد خرســـــان

لكـــــن شـــــعور بـــــذل النـــــير أرهقنـــــا

وأســـــكتت شـــــادياتِ الـــــروض غـــــربان

لـــــولا العـــــزائم والآمـــــال، مـــــا حَمَلَـــــتْ

أرواحهـــــا، في الكفـــــاح المـــــر، أبـــــدان

والحُـــــر أمـــــاّ شـــــريدٌ، حـــــائر قلـــــق

طـــــاوي الحشـــــا ، عـــــرم الأشـــــواق ظمـــــآن

أو قـــــابع في زوايا الســـــجن، مـــــرتعش

تحفـــــه أعبـــــد بـــــيض وعبـــــدان

عهـــــد، إذا مـــــر في الأحـــــلام أرقّـــــني

فكيـــــف أبعثـــــهُ، والجفـــــن يقظـــــان!؟

* * *

هـــــذي الوديعـــــة، يا لبنـــــان، نُرجعهـــــا

وقـــــــد طوتهـــــــا إرادات وأزمـــــــان

هـــــذي بقـــــايا فـــــتى مـــــا غـــــرّه تـــــرفٌ

ولا ثنتـــــه عـــــن الصـــــحراء (لـــــوزان)

لمـــــا رأى ســـــاحة الهيجـــــاء لاهبـــــةً

وأنـــــت عنهـــــا مشـــــيح الوجـــــه، حـــــيران

خـــــلاّك، واصـــــطحب الهنـــــديّ ملتفعـــــا

بـــــبردة نســـــجها عـــــزم وإيمـــــان

واســـــتقبل اللجـــــج الحمـــــراء مزبـــــدةً

تُرمـــــىَ بـــــه الغوطـــــةُ الكـــــبرى وحـــــوران

يمـــــدّها مـــــن غـــــزاة الجـــــو منســـــكب

خيوطـــــه حمـــــم ســـــود ونـــــيران

مـــــا زال يمعـــــن خوضـــــاً في معامعهـــــا

حـــــتى قضـــــى، ونجـــــاد الســـــيف ريان

وخلفـــــه ذكـــــريات كلمـــــا بعـــــدَتْ

شـــــعَّت، وعطَّرهـــــا شـــــوق وعرفـــــان

* * *

عـــادت إليـــك بقـــايا ثائـــر بطـــل

فاهنـــأ، بهـــذا الـــتراث الضـــخم، لبنـــان

مـــا أنـــت أولى بـــه منـــا، وإن كرُمـــت

منـــك الســـفوح، وطابـــت فيـــك شـــطآن

لكننـــا، وبـــلاد العُـــرْب واحـــدة

في خدمـــة المجـــد، إخـــوان وجـــيران

السويداء ١٩٤٥

إلى ابنتي

يابْنَتي! فتّحتِ عينيك على دنيا ضياءٍ وحنانِ
وأناشيد حسان
فتطلّعْتِ كئيباً، وبكيتِ...
وهبوك الثديَ ريان شهياً، فأبيت
فلماذا يا بنتي جئت حزينة
عالما لا تعرفينه؟؟...
لا نيوبُ الدهر آذتك، ولا أعوانُ دهرك
وطيوف الهمّ لمّا تتململْ فوق صدرك...
بيتُنا جرّبت أن يبدُوَ في أحسن زينةْ
في بياض الياسمينة
وفؤادي كان جذلانَ لمرآك، طروبا
لا عبوساً أو غضوباً...
فلماذا يابنتي جئت حزينةْ
عالماً لا تعرفينه؟
أيَّ درب سلك الدمع إليكِ
فارتمي في مقلتيك
بكَّرَ الهمّ عليك...
إنْ تكوني، مثلما قلن ، لأصحاب مشوقةْ
لصديق
أو صديقه...
أو تكوني مثلما قلتُ: "صدى نفسي الحقيقي"
أدرَكَتْ نفسي لماذا يابنتي جئتِ حزينةْ
عالماً لا تعرفينه...

السويداء ١٩٤٦

لا . . . لن أفرّ

لا لـــن أفـــر مـــن الجبـــال الســـمر والســـفح الجـــديبِ
وملاعـــب الجـــرد العتـــاق وكـــلّ ســـباقٍ نجيـــب
فلقـــد رميـــت عصـــاي في بلـــد إلى قلـــبي حبيـــب
مغـــنى ومنبـــتِ عصـــبة عـــرباءَ صـــافية الحليـــب

* * *

طوّفـــتُ في الصـــحراء توآقـــا إلى أفـــق رحيـــب
خُلْـــوٍ مـــن القيـــد البغـــيض وأنّـــة الحـــق الســـليب
فعرفـــت في أرجائهـــا طيبـــا يفـــاخر كـــل طيـــب
سُـــعفُ النخيـــل تمجـــه نشـــوى، وأعطـــاف الكثيـــب
مـــن نفحـــة الماضـــي البعيـــد شـــذاه والماضـــي القريـــب. . .
وقضـــيت في ظـــل الصـــنوبر زهـــرة العـــيش الرطيـــب
عهـــدَ الشـــباب الطلـــق والأحـــلام والأمـــل الخصـــيب
بـــين الجبـــال الشـــامخات البـــيض والمـــوج اللعـــوب . . .
وعشـــقتُ في الفيحـــاء، والفيحـــاء آســـرة القلـــوب
بـــردى يُصَـــفّق بالرحيـــق السلســـبيل وبالطيـــوب
والربـــوتين، وغوطـــةً سمحـــاءَ في ثـــوب قشـــيب
والـــذكريات الكامنـــات بسُـــدّة المَلْـــكِ الخضـــيب

* * *

لم يـــروْني بـــردى ولا الصـــحراء حـــدّت مـــن وجيـــبي
وظللـــت رغـــم الســـحر في ظـــل الصـــنوبر كالغريـــب
حـــتى رجعـــتُ إلى الجبـــال الســـمر والســـفح الجـــديب
وملاعـــب الجـــرد العتـــاق وكـــل ســـباق نجيـــب
أيقنـــت أني قـــد رضـــيت فلـــن أثـــور علـــى نصـــيبي

السويداء ١٩٤٦

مرحباً ..... وأهلاً

الأمير عادل أرسلان
أمير السيف والقلم
علم من أعلام الثورة السورية
ومن أبرز رجالات العرب في التاريخ الحديث

عاد إلى الوطن عام ١٩٤٦
بعد أن أجلي عنه أخر جندي أجنبي
ويروي له الشاعر
وهو الطفل الذي رافقه في منفاه في الصحراء
ثورة لبنان التحريرية
وقصة استقلاله
وثورة دمشق الدامية...
ويشكو إليه
شوقه إلى الماء والنور والخضرة
وتخوفه من تنامي قادة الاستقلال الحديث
لذلك الجبل المجاهد..

لا تقـــل: جالـــبٌ لبغـــداد تَمْـــرا زفـــرةٌ تلـــك مـــن فـــؤاديَ حـــرّى
أفلتتهـــا الضـــلوع غِـــبَّ اعـــتراك فاســـتحالت علـــى لســـانيَ شِـــعرا
مرحبـــا أيهـــا المضّـــمخ بالمجـــد – وأهـــلا بضـــيغم ظـــل حـــرا
خـــدره، كـــل بقعـــة تنبُـــت العـــزّ وترعـــاه أخضـــراً مشـــمخرا
مَـــنْ إذا ثارت الخطـــوب علـــى الشـــرق – وألقتـــه حـــائراً مكفهـــرا
نتحـــدى به الزمـــان، فيبـــدو في جبين الحوالك السود فجرا

لـــن أغـــنيّ أيامـــك البـــيض، والتـــاريخ أولى بأن يُشـــيد وأحـــرى
د

* * *

غـــير أني، والزهـــو يمـــلأ جنـــبيَّ أغـــني عهـــداً جديـــداً أغـــرّا

يـــوم رامَ الطغـــاةُ لبنـــان داراً ومقـــراً لكيـــدهم وممـــرّا
فـــإذا غضـــبةٌ مـــن الحـــق مُثلـــى وإذا وثبـــة إلى الســـيف كـــبرى

زلزلـــت بابـــن عمـــك البطـــل ، الأرض فـــأرغى مزمجـــراً مزبئـــرا
كـــم تمنّـــاك قربـــه تمـــلأ الـــوادي زئـــيراً ، والســـفحَ ناراً وجمـــرا
تخضـــب الســـيف ، تُشـــبع الطـــير تُعلـــي رايـــة مـــن دم الطواغيـــت حَمْـــرا
رفرفـــت حـــرةً وتبقـــى علـــى الـــدهر شـــعارا يـــذكى الحُقـــود، وذكـــرى. . .

واســـتفزوا مـــرابض الشـــام حـــتى خنـــق الضـــيمُ في الجـــوانح صـــبرا

وحملنـــــا الإبا مجنَّـــــا، فهـــــاجوا يمـــلأون الرحـــاب عـــارا وغـــدرا

هـــدَّموا ، أحرقـــوا ، اســـتباحوا بيـــوت الله كـــانوا مـــن (أعـــرج) الأمـــس شـــرا

فرفعنـــــا لـــــوا الجهـــــاد خضـــــيبا ومشـــينا يســـابق الشـــيخ حَـــبْرا
وانـــبرى في ذرا الســـويدا ابـــنُ حـــرا فارســـاً في المعـــامع الســـود مـــرّا

حولـــــه عُصـــــبة كعهـــــدك بالقـــــوم إذا الصـــــارم الرهيـــــف تعـــــرّى...
جولـــةٌ مثـــلُ ومضـــة الـــبرق، جعلناهـــا فعـــادوا في قبضـــة الحـــق أســـرى

وطـــــردناهُمُ برفـــــق ، فكنـــــا أثبـــت النـــاس ، أحلـــم النـــاس طـــرّا

* * *

أيهـــا العائـــد المضـــمّخ بالمجـــد أخـــاف العتـــاب إن قلـــت جهـــرا
أننـــا في الشـــوامخ الســـمر مـــا زلنـــا عطاشـــا والســـفح مـــا زال قفـــرا
مجـــدباً مـــن معـــالم النـــور والعمـــران خصـــبا لـــو زاره الغيـــث بكـــرا
فكـــأنّ النـــداء يلقـــى إذا صـــوّت في مســـمع القيـــادة وقـــرا

لا تلمـــــني إذا شـــــكوت فـــــإني صـــرت أخشـــى الـــذهول أن يســـتمرا

لا تلمـــــني إذا شـــــكوت فقـــــد ضـــــقت بمـــــا تضـــــمر الجـــــوانح صـــــدرا
بُـــــحَّ صـــــوتي وأنـــــت بالبلســـــم الشـــــافي وبالمكرمـــــات أولى وأدرى

السويداء ١٩٤٦

أخي

حمل ميخائيل نعيمة معوله
بعد الحرب العالمية الأولى، ونادى أخاه
ليدفن الأحياء من بني قومه
بعد الأموات...
وفي عيد الجلاء
ذكرت أخي الشهيد... ورفاقه
الذين كانوا لهذا اليوم
يوم الجلاء

قربانا...

أخـــي، هـــذا لـــوانا، اليـــومَ في أوج الســـما حـــرُّ
خفـــوقٌ، حولـــه الآمـــال والأحـــلام تفـــترّ
فقـــد شـــئناه للعـــزة، والإيمـــان عنـــوانا

وكان الحق يرعاه
فـــرفّ علـــى جبـــين الشـــمس، بعـــد اليـــأس نشـــوانا

* * *

أخـــي، ثـــرتم علـــى الإرهـــاق والطغيـــان والتيـــهِ
فكانـــت وثبـــةً دوّى لهـــا الكـــون ومـــا فيـــه
وراح المجـــد، مزهـــواً يســـطر في حواشـــيه
هنـــا، في جنـــة الفيحـــا، وفي أرجـــاء حـــورانا

وحول شواطئ العاصي
ربـــوع لم تـــزل للســـبق والعـــزة ميـــدانا

* * *

أخـــي، مـــا صـــانهم نصـــرٌ، وروح الشـــعب لا يُغلـــبْ
ولم يـــنفعهُمُ عســـف ولـــين الحُـــوَّل القُلَّـــب
فـــإنا لا نطيـــق العـــيش والنســـمة عبـــدانا

فعافوا أرضنا قهرا

وذاقـــوا ذلـــة الخيبـــة أشـــكالاً وألـــوانا

* * *

أخـــي، إن كـــان هـــذا العيـــد، عيـــداً صـــاخبا بكـــرا
وقـــومي مـــن رحيـــق الفـــوز باســـتقلالهم ســـكرى
فلـــن أعـــزف ألحـــاني، ولـــو هـــاجتنيَ الـــذكرى
ولكـــني سأمضـــي "بفـــؤاد خاشـــع دامِ"
أمجّـــد ذكـــر مـــن كـــانوا لهـــذا اليـــوم قـــربانا

السويداء ١٩٤٧

المنارة الهاوية

في رثاء الأمير شكيب أرسلان

أحـــــاذرُ ميـــــدان الـــــرثا وأجانبُـــــهْ

وأوثـــــر أن أبقـــــى بعيـــــداً أراقبـــــه

ومـــــا ذاك أني صـــــخرة لا تهـــــزني

جنـــــازة بـــــدر شـــــيّعته كواكبـــــه

ولي خـــافق مـــن رقـــة الحلـــم نســـجه

تـــــذوبُ، إذا ناح الحمـــــام، جوانبـــــه

ولكنـــــني أخشـــــى وصـــــية (حـــــافظٍ)

بأن المراثـــى نصـــف مـــا هـــو كاتبـــه

طلبـــتُ القـــوافي، فـــالقوافي شـــرودةٌ

وقـــد خـــرّ مـــن كانـــت خفافـــاً تواكبـــه

ولـــــذت بأذيال البيـــــان فصـــــدّني

وقـــد وجمـــت بعـــد الامـــير كتائبـــه

قضـــى مـــن تحـــدّى الـــدهر دهـــراً فمـــا انثـــنى

ولا هادنتـــــه أو تراخـــــت نوائبـــــه

ســـعى طالبـــا حـــق الحيـــاة لقومـــه

ومـــوجُ المنـــايا دون مـــا هـــو طالبـــه

فمـــا راعـــه جهـــل مقـــيم، وذلِـــةٌ

تـــــردّت بهـــــا واحاتـــــه وسباســـــبه

ولا الغـــل في الأفـــواه والكّـــفّ محكمـــا

مشـــــارقه تعنـــــو لـــــه ومغاربـــــه

فكـــــان بوجـــــه الطـــــامعين غضـــــنفرا

هصـــورا ثقيـــل الوقـــع مُـــذ طـــرّ شـــاربه

ينـــــازلهم في أرضـــــهم بعـــــد أرضـــــه

وحيـــدا فمـــا لانـــوا ومـــا لان جانبـــه

فمـــا انفـــك حـــتى حصـــحص الحـــق وانـــبرت

زلالا، لأقـــــوام عطـــــاش مشـــــاربه

فضـــج لـــه الكـــون الفســـيح وأكـــبَرَتْ

اعاجمُـــــــه صـــــــولاته وأعاربـــــــه

فكـــــان عظيمـــــا والشـــــباب رداؤه

وأعظَـــــمَ بأســـــا، واللجـــــين ذوائبـــــه

غـــذا الشـــرق فيضـــا مـــن سمـــاء بيانـــه

فلاحـــــت منـــــارا للســـــراة مناقبـــــه

ومـــــا بخلـــــت بعـــــد الأمـــــير رفاتـــــه

فغـــذّاه جســـم واجـــب الـــروح غائبـــه

فنـــام قريـــر العـــين في ظـــل مـــوطن

تقلّـــــص عنـــــه نـــــيره وأجانبـــــه

* * *

عليـــك ســـلام الله يا مـــن بفقـــده

فقـــدنا حســـاما لا تفـــل مضـــاربه

هـــوى مثلمـــا تهـــوي المنـــارة فارتـــدى

عليـــه الســـوادَ الأفـــقُ واغـــبرّ جانبـــه

فـــلا بســـمة رفـــت علـــى ثغـــر حاســـد

ولا افـــتر قـــالٍ أو عـــدو يجانبـــه

فقـــد وجفـــت أكبـــادهم حـــين لفّهـــم

خضـــم مـــن الـــديجور جاشـــت غواربـــه

فكـــان ســـواءً يـــوم نعيـــك معجـــبٌ

مـــوالٍ، وخصـــم لا تكـــل عقاربـــه

دمـــوع مريـــرات وقلـــبٌ مجـــرَّحٌ

وحســـرة نســـر فارقتـــه مخالبـــه

السويداء ١٩٤٧

أغنية أمّ

في خيمة بائسة مظلمة
من خيام العرب الذين شردوا من فلسطين
كانت الأم تهدهد طفلها الذي كان يصرخ
من الجوع والبرد
وعلى شرفة القصر
المطل على الخيام
كانت حفلة ساهرة....
وأقداح

نم يا حبيـــــــــــبي نم في حضـــنِيَ الـــدافي
بالمـــاء قـــد يحلـــمْ جفـــن الظمـــا الغـــافي
والجـــرح بالبلســـمْ نم يا حبيـــــــبي نم

* * *

دع رأســـك الحـــيرانْ يغفـــو علـــى الأضـــلاعْ
لـــن يقلـــق الوســـنان قلـــب كقلـــبي ضـــاع
بـــين الأســـى والهـــمْ نم يا حبيـــــــبي نم

* * *

جوعـــانُ؟ مـــا ذنـــبي ثـــديي غـــدا خرقـــةْ
أحسســـتَ يا حـــبيّ في ضـــمّه حرقـــةْ
وقســـوةَ العلقـــمْ نم يا حبيـــــــبي نم

* * *

بـــردانُ؟ صـــدري نارْ فالجـــأ إلى صـــدري
زادت يـــدُ الأقـــدار جمـــرا علـــى جمـــري
في خـــافق مفعـــمْ نم يا حبيـــــــبي نم

* * *

الحـــي في أفـــراحْ ضـــجوا مـــع اللحـــن
والعـــود والأقـــداح أزعجـــتَهم يابـــني
وأنـــت لا تعلـــمْ نم يا حبيـــــــبي نم

* * *

لا تُقلـــــقِ الســـــمارْ بالنـــــوح والزفـــــرةْ
واحفـــظ حقـــوق الجـــار فالجـــار في سَـــكْرَهْ
لا يـــــذكر المـــــأتم نم يا حبيـــــــــبي نم

بيروت ١٩٤٨

بعد النكبة

هنيئـــاً لمـــن أغمـــض المقلتـــينْ
علـــى جرحـــه الـــدافق الطـــاهرِ
ومـــرّ ســـعيداً فلـــم ينتظـــر
ليلقـــى جراحـــا بغـــير دمـــاء
ونزعـــا وئيـــداً بـــلا آخـــرِ
ووجهـــا يحـــاول أن يســـتترْ
ولـــو بالـــتراب، فيـــأبى الـــتراب
ويُعـــرض إعراضـــة الســـاخرِ

* * *

وكانـــت لنـــا نشـــوةٌ لا تحـــدُ
يهدهـــدها القَـــدَحُ المـــترعُ
ويـــرقص بـــين يـــديها الرجـــاء
وجاشـــت ولجّـــت بنـــا الكـــبرياءْ
وغـــنى لهـــا الســـيف والمـــدفعُ

* * *

وكانـــت جبـــاه تحـــكّ الســـماءْ
ويـــوم كيـــوم النشـــور اســـتفاقت
وثارت بـــه الأنفـــس الهجـــعُ
وكنـــا نلاقـــي لقـــاء العـــروس
مواكـــبَ أخوتنـــا الداميـــةْ
وحـــتى النســـاء أبَـــيْنَ العويـــل
وفـــرّت دمـــوع فكفكفنهـــا
وأخفـــين حرقتهـــا الكاويـــةْ...
وكـــان اعتـــزاز وحلـــم جميـــلْ

* * *

ومـــرّ الزمـــان مـــرور الســـحاب
علـــى روضـــةِ الأمـــل الزاهـــر
ولمـــا انتبهنـــا عـــرانا الـــذهول
وكنـــا نظـــن بأنا بشـــرْ
وإذ بالجمـــوع قطيـــع يســـاق
وخلـــف الرعـــاة رعـــاة الرعـــاة

وبـــين العصـــيّ عصـــيٌّ أُخَـــرْ
واذ بالـــدماء جزافـــا تـــراق
علـــى مـــذبح الطمـــع الأشـــعبي
وأقـــدام أوثانـــه والصـــورْ
ولاح الرجـــاء خضْـــيباً يـــئن
يحـــرّر خُطْواتـــه مـــثقَلا
ومالـــت جبـــاه وأغضـــت مقَـــل
فهـــل عـــاد ذاك الزمـــان الرهيـــب
يعـــد لنـــا الـــرفش والمعـــولا
لنمضـــي نـــدوس بقـــايا الأمـــلْ
فنـــترك مـــن مـــات نهـــب النســـور
ونـــدفن أحيـــاءنا أوَّلا..[1]

* * *

ولكـــنْ أحـــسُّ ارتجـــاف الضـــميرْ
وشـــبهَ اشـــتياق لأن ينفجـــرْ
ويبعـــث مـــن جانبيـــه الحمـــمْ
ليـــدفن تحـــت اللهيـــب العصـــيّ
وأذيالَ ليـــلٍ طويـــل قَـــذِرْ
ويســـمع مـــن راح يشـــكو الصـــمّمْ...
ويمشـــي القطيـــع ولكـــن قطيعـــا
مـــن الضـــارياتِ ذواتِ الظُفُـــرْ

بيروت ١٩٤٨

[1] إشارة إلى قصيدة: (أخي) لميخائيل نعيمة.
"... فهات الرفش والمعول
لتحفر خندقاً آخر
نواري فيه أحيانا...".

هتف النصر

هتــف النصــر وغــنّ لبنـــاة المجـــد منـــا

لـــلألى كـــانوا بكـــف الحـــق ســـيفا ومجنّـــا

وتلفتّنـــــا إلى الماضـــــي البعيـــــدِ
فـــإذا التـــاريخ مـــن صـــنع الجـــدود
يمـــــلأ الـــــدنيا بآيات الخلـــــود
وتلفتنـــا إلى الماضـــي القريـــب المســـتباح
فـإذا الأشـبال تمضـي مـن كفـاح لكفـاح

وتمـــــنّى العـــــزّ أسـيافاً فكنـا مـا تمّـنى

وأراد الله قُوامـــــاً علـــــى الحـــــق فكنـــــا

هللـــــــي يا أم إن دوّى النفـــــــيرُ
وتعـــالى في حمـــى الشـــام الـــزئير
وانـــبرى في جوهـــا الرحـــب النســـور
وابشـــري إذ نمـــلأ البحـــر دوياً ودخـــاناً
ونعلـــيّ مشـــرقَ الطلعـــة خفاقـــاً لـــوانا

واســـألي تاريخنـــا الفـــواح يـــوم الـــروع عنـــا
كـــم بنينـــا للهـــدى والعـــدل أمجـــاداً وُصـــنّا...

* * *

وافرحـــي يا أمـــتي وارتقـــبي
مبعـــث النـــور بأرض العـــرب
وانتـــزاع الحـــرم المغتصـــب

ضـــرب النصـــر لنـــا بـــين رباه الموعـــدا

فوثبنـــا نأخـــذ الثـــأر لمـــن كـــانوا الفـــدى...

السويداء ١٩٥٢

أبو رمّانه

شارع الأثرياء
الذين خلقتهم الحرب العالمية الأولى

أبي قلـــتَ: "عـــلاء الـــدين" أســـطورةُ قصـــاصِ
فهـــل هـــذي القصـــور البـــيض، يا ربيّ، أســـاطيرُ؟!
أمـــا كنـــا هنـــا أمـــسِ، وكانـــت ملعبـــا قفـــرا
وغـــاباتٍ مـــن الصـــبّار يُبـــدي شـــوكُها الشّـــرا؟
يخـــاف النهـــر مرآهـــا فيلـــوي خائفـــاً يجـــري...

* * *

ذكـــرتِ الأمـــس يا بِنْـــتي فمـــاذا كـــان في أمـــسِ؟
أمـــا عضـــك ناب الجـــوع – والحرمـــان واليـــأس؟
فبعنـــا مـــا تبقّـــى مـــن طيـــور القـــن للجـــارِ
،ومســـحتُ الـــدموعّ الحمـــر في عينيـــك يا بِنْـــتي،
لأنّا لم نعـــد نلقـــى لنـــا في بيتنـــا حبًّـــا. . . . .
أمـــا أدمـــت ســـياطُ الـــريح وردَ الخـــد، والـــبردُ
وعـــاد المعطـــف البـــالي علـــى جنبيـــك ينقـــدّ
فأشـــعلنا لـــك الموقـــد مـــن كـــرّاس أشـــعاري
ومـــن أخشـــاب صـــندوق، تلاشـــت خلفـــه ذكـــرى
مـــن الماضـــي ورثناهـــا كمـــا ينتثـــر العطـــرُ...

* * *

ذكـــرتِ الأمـــس يا بِنْـــتي فمـــاذا كـــان في أمـــسِ؟
ألم تهـــدم لذيـــذَ الحلـــم في جفنيـــك ضوضـــاءُ؟
وفوضـــى مـــن رجـــال الحـــيّ والنســـوان، هوجـــاءُ
علـــى أعتـــاب خبّـــاز، صـــفيق الوجـــه صـــخّابِ
وفي أعقـــــاب برميـــــل، أذلاّءَ تبعنـــــاه
وللشـــــرطي تجـــــذيف وللحـــــوذيّ إرغـــــاء

وبي عـــن رنـــة الأجـــراس في المعهـــد اغضـــاء...

* * *

ذكـــرتِ الأمـــس يا بِنْـــتي فمـــاذا كـــان في أمـــسِ؟
جراحـــــاتٌ وأشـــــلاء وعهـــــدٌ قـــــاتمٌ مـــــرُّ
وخلـــف الظلمـــة الخرســـاء طيـــفُ المـــوت يجـــتر
وكنـــا في ظـــلال الخـــوف نبـــني مـــن بقـــايانا
ومـــن أكبـــادنا، هـــذي القصـــور البـــيض للنـــاس
ومـــن عُرِيـــكِ يا بنـــتي فرشـــناها لهـــم خـــزّا
ومـــن عـــينٍ جفاهـــا النـــوم أنـــواراً زرعناهـــا

* * *

نعـــم، هـــذي القصـــور مـــن أكبـــادنا تُبـــنى
فلـــن تبقـــى كمـــا كنـــا عبيـــد الـــذل والجـــوعِ

دمشق ١٩٥٣

يأس ورجاء

مهداة إلى المناضل اللوائي عادل شعبان
في حماه مدينة النواعير الخرساء...

يا جـــار باكيـــة تنـــوحُ خرســـا تؤرقهـــا الجـــروح

يلهـــو بهـــا العاصـــي فيُرهقهـــا التثاقـــل والجمـــوح
وتـــئن بالشـــكوى فترتجـــف الخمائـــل والســـفوح

ترجـــو غـــداً، فـــإذا غـــد كـــالأمس مغـــبرّاً يلـــوح
الشـــمس خلـــف حجابهـــا والليـــل مئـــزره مســـوح

والـــورد ان يفـــترّ في الشـــطآن مبســـمه الصـــبّوح
فـــالزهر ينثـــر للعـــروس وقـــد يـــرش بـــه الـــذبيح...

والطـــير إنْ ينشـــد بهـــا فلعلّـــه مثلـــي جـــريح

يشـــدو ليطفـــئ مـــا تـــؤجج في مآقيـــه القـــروح

* * *

يا جـــار نائحـــة علـــى أخـــتٍ ســـباها المســـتبيح[1]

في الشـــاطئ الرجـــراج حيـــث تضـــرج الحـــق الصـــريح

وطغـــى بحـــد الســـيف مـــن ســـئمت فظاظتـــه الفتـــوح
وتـــئن مـــن ألم علـــى أرض تعشّـــقها المســـيح
واشـــتاق أحمـــدُ قدســـها وأعزّهـــا البطـــل الســـميح[2]

يـــذوِي بهـــا مجـــد الصـــليب وللهـــلال بهـــا جنـــوح

ولعصـــبة الشـــذاذ في أرجائهـــا تبـــنى صـــروح

---

[1] في أنطاكية (لواء الاسكندرون).

[2] صلاح الدين.

ولهـــــم بهـــــا أمـــــن المقـــــيم وفي تخطّيهـــــا طمـــــوح....
ولأهلهـــــا قلـــــقُ الغمـــــائم تســـــتبد بهـــــن ريـــــح

* * *

لاذوا بتيجـــــان الملـــــوك فكـــــان غـــــوثَهُمُ فحـــــيح
لا ناهبـــــم دامٍ، ولا عـــــزم الرجـــــال بهـــــم صـــــحيح
وقصـــــورهم للبغـــــي ميـــــدانٌ وللعليـــــا ضـــــريح
وفـــــراخهم نِعْـــــمَ النـــــدامى اذ يطـــــوف بهـــــم ملـــــيح
قرنـــــوا الغَبـــــوق إلى الصـــــبَّوح فكـــــل يـــــومهُمُ صـــــبوح

أزروا بحـــــاتم فهـــــو في ميـــــدان أكثـــــرهم شـــــحيح

نَعَلـــــوا النضـــــارَ الغانيـــــاتِ وشـــــعبهم طـــــاوٍ يصـــــيح

* * *

وبأرضـــــنا، أرض الشـــــآم ، كرامـــــةٌ تَـــــدْمى وروح...

عهـــــد الســـــياط فنتنـــــةُ في كـــــل زاويـــــة يفـــــوح

وبمصـــــرَ، لا أدري أأســـــياف تشعشـــــع أم صـــــفيح[1]

والمغـــــرب الـــــدامي بـــــه ضـــــر الأســـــيرة والـــــرزوح

وبمهـــــدنا يُبـــــنى الـــــدمار ويحكُـــــمَ الُشـــــرك الفســـــيح[2]

* * *

يا ســـــاهراً يرنـــــو إلى خرســـــا بشـــــكواها تبـــــوح

إنْ تلـــــقَ في كبـــــدي صـــــداها لـــــن أنـــــوح كمـــــا تنـــــوح
لي في غـــــدي، ثقـــــةٌ، تـــــزوح الراســـــيات ولا تـــــزوح

دمشق ١٩٥٣

---

[1] كان الحكم الاستبدادي في سورية في أوجه، وكانت الثورة في مصر في مراحلها الأولى.

[2] مهدنا: الجزيرة العربية.

غداً

غـــداً في غـــد تهـــدأ العاصـــفةْ
وتبســـــم جنتنـــــا الوارفـــــةْ
وينشـــد في غصـــنه العنـــدليبْ
ويهـــدأ هـــذا الـــزئير الرهيـــب...

* * *

غـــدا تتلاشـــى الســـحاب الجهـــامْ
وينـــزاح هـــذا الظـــلام، الظـــلام
ويطـــوى الحديـــد علـــى نفســـه
وينتحـــر الســـوط مـــن يأســـه...

* * *

غـــدا تشـــرق الشـــمس في أرضـــنا
وفيهـــــا اشـــــتياق إلى روضـــــنا
فتلقـــى هـــزاراً مهـــيض الجنـــاحْ
وغصـــناً حطيمـــاً بكـــف الـــرياح
وغصـــنا تطـــاول بـــين الســـحاب
تثرثـــر فيـــه بنـــات الغـــراب...

* * *

ولكـــن، غـــداً تهـــدأ العاصـــفةْ
وتبســـــم جنتنـــــا الوراقـــــةْ

وتبرا الجراحْ
وتهدا الرياح
وينشـــد في غصـــنه العنـــدليبْ
ويـــذهب هـــذا الـــزئير الرهيـــبْ

مع العاصفة...

السويداء ١٩٥٣

يا شعب

"أيها الشعب ليتني كنت حطابا
فأهوى على الجذوع بفأسي"

(أبو قاسم الشابي)

"فكونوا النار تحرق أو قذى في
عيون البُطل أن كنتم رمادا".

(الشاعر القروي)

يا شـــعبُ غـــيري تمـــنّى　　لـــو كـــان حطـــابَ شـــعبهْ
يـــبري الجـــذوع بفـــأس　　رهيفـــةٍ رغـــم حبـــه

لأرضه ولشعبه

أَيأسَـــــتهُ فتمـــــنى　　في يأســـه مـــا تمـــنى
وهجَتـــــه فتغـــــنى　　كمـــا يـــئن الجـــريحُ

يدوسه المستبيح

* * *

يا شـــعب غـــيري تمـــنى　　لـــو كـــان ناراً وجمـــراً
يشـــوي جبـــاه الأعـــادي
أو لا فـــبعض الرمـــاد

في مقلـــة المســـتبد　　والغاضـــب المتحـــدي
المســـتخف بشـــعبهْ　　بحقـــده وبحبـــهْ...

* * *

أمـــا أنا، فـــبلادي　　عرفتهـــا في القـــديمِ

منـــذ انبثـــاق النجـــومِ
أرضـــاً بلـــون الرجـــاءِ
تفـــيض نـــوراً وعِطـــراً
فـــنملأ الكـــون ســـحراً
والـــدهرَ طيـــب الربيـــعِ...
عرفتهـــا في الـــدموعِ
عرفتهـــا في الشـــقاء
في محنـــة الأبـــرياء..
وفي ظـــلام الـــدهورِ
أرضـــاً هـــي الكـــبرياء

تغـــــار منهـــــا الســـــماء...
وأمـــــــــتي في العصـــــــور
رمـــــزٌ لعـــــز الكفـــــاح
تشـــــــــعُ نـــــــــورٌ ونارا
وفي ليـــــــــالي الحيـــــــارى
منـــــــــارةٌ للزمـــــــــان
وهاجـــــة فـــــوق دربـــــهْ...
يا شـــــعب غـــــيري تمـــــنى
في يأســـــــه، مـــــا تمـــــنى
أمّـــــــــا أنا فرجـــــــــائي
أن لا يخيـــــــــب رجـــــــائي
في شـــــــــعبيَ المتحـــــــــدي
للغاصـــــــــب المســـــــــتبد

السويداء ١٩٥٣

الخريف
صورة من صور الشاعر ورفاقه
في طريقهم إلى المنفى
وقد شردهم الطاغية في كل بلد...
يرحلون كما ترحل
أسراب السنونو
وبهم مثلها...
أشواق إلى العودة...

عاد الخريفْ
فللوريقات اصفرار وارتجافْ
ولهنّ في الوادي حفيفْ
مثل ابتهال الناسكين...
والغيم مرتعشاً يمر
ويهيم يرسم في الفضاء
صوراً يوشيها الضياء
والذاهبون إلى القطافْ
يتسابقون ويحلمون...
وعلى الدروبْ
همس الكواعب والطيوب...
وبأرض بيدرنا العتيقْ
ذهب يُكَوَّم أو عقيق
وعلى السطوح وفي السماء
وعلى شريط الكهرباء
أسراب رهبان صغار
يتجمعّون، يثرثرون...
وبهم إلى الدفء اشتياقْ
وبهم لهيب الذكرياتْ
لحلاوة الماضي القريبْ
للروض للعش الحبيب...
ومع الغروب
يرفرفون، ويرحلون...

* * *

فمتى، متى يأتي الربيعْ
وتعود معطرة الورود
وتعود أسراب السنونو
وبها إلى بلدي حنين؟!...

السويداء ١٩٥٣

لا... لن أكون

لا، لـــــــن أكـــــــونْ...
ومـــا خلقـــت لأن أكـــون

قصـــــبا يرجّفـــــه النســـــيم ، وتســـــتخف بـــــه الـــــرياحْ
ويـــــذل في وجـــــه الأعاصـــــير الغضـــــاب فيســـــتباح
ويظـــــل مرتجفـــــاً، يقبـــــل ، في المســـــاء وفي الصـــــباح

قـــدم الأعاصـــير الغضـــابْ
حـــــتى تغفـــــر بالـــــترابْ
لا، لـــــــن أكـــــــون. . .

* * *

لا، لـــــــن أكـــــــون

كمـــــــا يشـــــــاء ليَ النصـــــــيح بأن أكـــــــونْ
غصـــــنا، يميـــــل كمـــــا تميـــــل مـــــع النســـــيمات الغصـــــون
لَـــــدْناً، يُســـــفُّ وينحـــــني، حـــــتى إذا عـــــاد الســـــكون

أضـــحى يطـــاول في الســـحابْ
هامـــــا تعفـــــر الـــــتراب
لا، لـــــــن أكـــــــون...

* * *

لا ، لـــــــن أكـــــــون

ومـــــا خلقـــــت لأن أكـــــون كمـــــا يريـــــد لي الزمـــــانْ
قصـــــبا يرجفـــــه النســـــيم، ويســـــتقيم إذا اســـــتكان

أنا في اباء الســـــــــــندیان ، وفي عنـــــــــــاد الســـــــــــندیان

فـــــإذا الأعاصـــــير الغضـــــاب
دوَّت تطـــــاول في الســـــحاب

السويداء ١٩٥٣

الحدّاد

الحداد
طاغية يحكم بالنار والمطرقة
ولكن النار... تضيء وتطهر
والمطرقة...
لا تزيد الحديد إلا مضاء

يا صـــاحبَ الســـندان والمطرقـــة أجّـــجْ وحـــرّض نارك المحرقـــةْ
رهيبـــــــــةٌ نارُك، لكنهـــــــــا تضـــيء حـــتى الكـــوّة المغلقـــةْ
أنيســـــةٌ، رغـــم زفـــير لهـــا، مثـــل أنـــين الذئبـــة الموثقـــةْ
كـــم قطعـــة ران عليهـــا الصّـــدا وغلّفتهـــا الظلمـــة المطبقـــةْ
ذوّبـــت في النـــيران أدرانهـــا فشعشـــعت، كـــالتبر في البوتقـــةْ
وصـــغتها نصـــلا، بريـــق الـــردّى في حـــده، والبســـمة المشـــرقةْ
أو ســـكة، ترســـم أثلامهـــا دنيـــا غـــدٍ خـــيّرةٍ مونقـــةْ
أو معـــولاً، يهـــدم في أرضـــنا كهفـــا، ليبـــني دارة شـــيقةْ
تغفـــو علـــى شـــرفتها وردة بـــين ذراعَـــيْ أختهـــا الزنبقـــةْ
ويلعـــب الطـــير بأرجائهـــا وفي ذرى جناتهـــا المورقـــةْ

* * *

يا مضـــرم للنـــيران زدهـــا لظـــى واضـــربْ، فبـــئس الضـــربة المشـــفقةْ
يهـــوى الحديـــد النّـــار وهاجـــةً ويشـــتهي الســـندان والمطرقـــةْ

حمص ١٩٥٣

نهر العاصي
سمي عاصياً لأنه يسير
من الجنوب إلى الشمال
في حين
تنساب أنهار سورية ولبنان
من الشمال إلى الجنوب....
وفي العهد الاستبدادي
الذي خيم على سوريا في عامي
١٩٥٢ و١٩٥٣ ومطلع ١٩٥٤
نفي الشاعر إلى حمص
فرأى في العاصي
صورة نفسه التي لم تخضع
لحكم قيصر وأشباه قيصر....

يا خضـــرة الـــوادي الخصـــيبِ لا تحجـــبي وجـــه الحبيـــب
بي لهفـــة المشـــتاق (للعاصـــي) المضـــــمّخ بالطيـــــوب

* * *

نِعْـــــمَ العصـــــاةُ إذا هُـــــمُ ثاروا علـــى القيـــد الرّهيـــب

وتفلّتـــوا فـــإذا الســـفوح تضـــج باللحـــن الغضـــوب. . .

نِعْـــــمَ العصـــــاةُ ضـــفافُهمْ تختـــال بالثـــوب القشـــيب

وطـــــريقهمْ درب الضـــــياء ومنبـــــت الأمـــــل الطـــــروب

* * *

يا نهـــر، قـــومي في ذهـــول الطفـــل في البلـــد الغريـــب

هـــانو، فهـــم لا يعرفـــون ســـوى التشـــكيّ والنحيـــب
فـــــاغفر، ولا تجـــــزع إذا ظلمـــوك بالنعـــت المريـــب

* * *

يا نهـــر، ذنبـــك في إبائـــك بعـــض مـــالي مـــن ذنـــوبِ

مـــا زلـــت مثلـــك عاصـــيا والطيـــب ينبـــت في دروبي

حمص ١٩٥٣

فقيد السيف والقلم
(الأمير عادل أرسلان)

هيهـــات، لا قلمـــي يكـــاد ولا فمـــي ... يقـــوى علـــى بـــث الأســـى المتضـــرّم
هـــذا يحرّقـــه اللهيـــب فيشـــتكي ... وتـــروع ذاك الخـــاطراتُ فيرتمـــي
فاعـــذر، إذا ارتجفـــا ولاح عليهمـــا ... يأس العيـــيّ ، وحـــيرة المتلعـــثم
ولـــو اســـتطعت بســـطت خفّـــاقي علـــى ... كفّـــي، بـــلا وجـــل ، وقلـــت تكلـــم
لرضـــيت عنـــه مترجمـــاً لعـــواطفي ... وبغـــيره لمـــا أثـــقْ بمـــترجم

* * *

وكأنمـــا في كـــل نفـــس مثـــل مـــا ... في أضـــلعي مـــن حســـرة وتألم
غلـــب التجلـــدَ والتجمـــلَ حزنُهـــا ... وتـــرددت زفـــرات صـــدر مفعـــم
وترّقرقـــت درر العيـــون خصْـــيبةً ... وتـــدحرجت حـــرّى بلـــون العنـــدم
ظفـــر الزمـــان بهـــا وكـــم عـــزت علـــى ... ضـــرباته وســـهام دهـــر مجـــرم

* * *

ســـيفَ العروبـــة ، لا العروبـــة وحـــدها ... تبكـــي عليـــك ولا هـــلال محـــرّم
رزئـــت بـــك العليـــا وأنـــت نصـــيرها ... ومجيرهـــا مـــن طـــامع مســـتلئم
أرشـــدتَ موكبهـــا وصـــنت ذمارهـــا ... وجلـــوت غيهـــب ليلهـــا المـــتجهم
بعزيمـــة لم تعـــترف بهزيمـــة ... وبمـــرقم مـــا خـــاف صـــولة أرقـــم

* * *

أيُّ النســـور يطـــوف مـــا طوّفتـــه ... شـــوقاً إلى المـــلأ الرفيـــع الأعظـــم
مترفقـــا، مترفعـــاً عـــن كـــل مـــا ... يَصِـــمُ النهـــى مـــن مطمـــع أو مغـــنم؟!
يا فخـــر كـــل مجـــنّح ضـــرب الهـــوا ... مـــن بلبـــل عـــذب الصـــفير وقشـــعم
أي الأســـود يطيـــق مـــا جابهتـــه ... تحـــت الغبـــار المـــرّ مـــن بـــرك الـــدم
والخيـــل أرهقهـــا العـــراك فعربـــدت ... تشـــكو الجـــراح بَعَـــبرة وتحمحـــم؟!
أي الســـيوف يظـــل مثلَـــك مرهفـــا ... لم يَنْـــبُ في أمـــر ولم يتـــثلم
في خدمـــة الحـــق الســـليب غـــراره ... أمـــل الضـــعيف وملجـــأ المـــتظلّم؟!
أي الـــدروع أشـــد منـــك صـــلابة ... وأعـــز منـــك علـــى الـــرزايا الحـــوّم؟!
أي الزهـــور وان تفـــرّد نشـــرها ... أذكـــى شـــذاً مـــن نَـــوْرك المتبســـم؟!
تهـــبُ الرّجـــاء ليـــائس فقـــد الرّجـــا ... ودم الشـــباب لبـــائس مستســـلم
أمـــل قضـــى امّـــا قضـــيت، وصـــفحة ... غـــرّاء مـــن صـــفحات ســـفر قـــيّم
عـــرف الزّعامـــة عفـــة ومـــروءة ... لا وطـــأة مـــن صـــولة وتحكّـــم

حمص ١٩٥٤

يا حَبذا جبل الريان

كاد الجبل أن يتعرض
في معارضته لحكم الطاغية الاستبدادي
بين عامي ١٩٥٢ – ١٩٥٣
إلى كارثة مدمرة
لولا وعي الجيش والمواطنين
فانهزم الطاغية
ولجأ إلى الجزيرة العربية
التي خدعت به فآوته
ومن ثم أسرعت بطرده منها...

قيلت في استقبال قادة الجهاد ضد الطاغية

مـــلأت دنيـــاك أشـــعاراً وألحـــانا

فـــزدتني بالغـــد المخضـــر إيمـــانا

يا شـــامخاً في سمـــا حـــوران منتصـــباً

للعـــرب حصـــنا، وللعليـــاء عنـــوانا

إن ينطفـــئ فيـــك بركـــان، فقبضـــتنا

قـــد فجرتـــك علـــى الطغيـــان بركـــانا

يحيـــي النفـــوس إذا ارتجـــت عزائمهـــا

ويمـــلأ الليلـــة الظلمـــاء نـــيرانا

فـــالفجر مبتســـم، والركّـــب منطلـــق

والطـــير ينشـــد في الأجـــواء نشـــوانا

(يا حبـــذا جبـــل الـــريان مـــن جبـــل

وحبـــذا ســـاكن الـــريان مـــن كـــانا)

* * *

بوركـــت يا مـــوطن الأحـــرار، ملتفعـــا

بالغيـــــث حينـــــاً وبالنـــــيران أحيـــــانا

أبيْـــتَ أن تنحـــني يومـــا لطاغيـــه

أرادنا في ربـــــوع الشـــــام قطعـــــانا

أغـــرى بنـــا القـــوة الهوجـــاء فانطلقـــت بأمـــره تمـــلأ الآفـــاق أحـــزانا

لـــو كـــان غـــيرُ بـــني قـــومي لمـــا وطئـــوا

وكـــر النســـور وأدمَـــوْا فيـــه عِقبـــانا

ذكـــرى اكتّمهـــا جمـــرا علـــى كبـــدي

مـــن أجـــل مـــن كللـــوا بالنصـــر قـــتلانا..

واســـتأجر القلـــم البـــاغي وألسْـــنَةً

كانـــت لـــه في النضـــال المـــرّ أعـــوانا

تجـــاهلوا شممـــا فينـــا ومكرمـــة

وصـــفحة في صـــفاء الســـيف عـــريانا

بالمـــال عصّـــب عينـــيهم، فمـــا خجلـــوا

أن يطلبـــوا عـــن ضـــياء الشـــمس برهـــانا

وأتخـــم الســـجن والمنفـــى بمـــن رفضـــوا

أن يخـــــــدموه طواغيتـــــــا وعبـــــــدانا

وفـــرَّق الـــتهم النكـــرا وأبـــدعها

وكـــــــاد يلصـــــــقها زورا وبهتـــــــانا

واســـتاق منـــا، يرُجّـــي عفـــوَهُ، نفـــراً

خبّـــــاً، ومستضـــــعفا غـــــرّا، وربّانا

وخـــاملا، غـــرَّه الكرســـيُّ، فانقلبـــتْ

علـــــى محيـــــاه كبريتـــــا وقطـــــرانا

فجلجلـــت في سمـــا الشـــهباء عاصـــفة

عـــــرباء تحطـــــم انصـــــابا وأوثانا[1]

تمـــدّها مـــن حمـــى الأحـــرار زغـــردة؛

فـــــارتاع مرتجفـــــا واصـــــفرّ حـــــيرانا

وانســـاب تحـــت ســـتار الليـــل منهزمـــا

لصـــــــا يجـــــــرّر اســـــــلابا وادرانا

* * *

شـــبلَ الجزيـــرة، هـــذا الضـــيف، معصـــمه

لمـــــا يـــــزل بـــــدم الأحـــــرار ريانا

عُـــرْفُ الضـــيافة أن تحمـــي أخـــا شـــرف

لا أن تجـــير خضـــيب الكـــف خـــوّانا

تغـــيرّت فيـــك يا صـــحراءنا قِـــيَمٌ

أيام امســـيت (للـــدولار) ميـــدانا....

* * *

مرحـــى لكـــم يا أباة الضـــيم في بلـــد

يلقـــاكُمُ رغـــم دامـــي الجـــراح، جـــذلانا

عـــدتم وعـــاد الربيـــع الطلـــق وانقشـــعت

---

[1] مدينة حلب الشهباء.

ظلامـــــة أوغلـــــت إثمـــــا وعـــــدوانا

(ابا طـــلال) هنيئـــاً مـــا ظفـــرتَ بـــه

يا صـــارما في يـــد العليـــا، مـــا هـــانا

أبـــوك اسمـــاك (ســـلطاناً) وصـــدّقه

ربّ ارادك يـــــوم الـــــرّوع ســـــلطانا

السويداء ١٩٥٤

عتاب

إلى التي قالت: "ألا نوحي لك شيئاً"

ادميتـــني، إمـــا رميـــتِ فـــؤادي ... بعتـــاب مشـــتاق إلى إنشـــادي
وظلمتـــني، يـــوم اتّهمـــتِ جـــوانحي ... بركودهـــا، ومشـــاعري برقـــاد
اتّجاهلـــت عينـــاك ســـحرَ جفونهـــا ... ودمَ الشـــباب بغصـــنه الميـــاد؟!
ونضـــارة الوجـــه الصـــبوح، ومبســـما ... كالطـــلّ بـــين بـــراعم الأوراد؟!
مـــا صـــخرةٌ كبـــدي، ولا مـــاءٌ دمـــي ... وفمـــي إلى الطيـــب المـــذوبّ صـــادي
إنْ يبـــدُ في راســـي المشـــيب فربّمـــا ... أخفـــى الرّمـــادُ نضـــارةَ الوقـــاد
وإذا ســـكتُّ فخـــير مـــا عـــرف الهـــوى ... أنشـــودةٌ تبقـــى بـــلا انشـــاد...
لا تجرحـــي الطـــير الأســـير لتطـــربي ... يكفيـــه مـــا يلقـــى مـــن الأعـــواد

دمشق ١٩٥٤

إلى هاجرة

هجرتَنـــا! مـــا هكـــذا نُهُجَـــرُ ... يا ســـاحر العينـــين، يا أسمـــر
فـــررت مثـــل الحلـــم المشـــتهى ... مـــن مقلـــة هدهـــدها المســـكِر
لم ترفـــع الكـــف لتوديعنـــا ... فمـــا الـــذي مـــن أمســـنا تُنكـــر؟
جرّحـــت بالهجـــران أكبـــادنا ... وأنـــت لا تـــدري ولا تشـــعر
يا ســـاحر العينـــينِ، إنْ تَنســـنا ... فـــالجرح لا ينْســـى ولا يعـــذر

دمشق ١٩٥٤

يا نخيل العراق
أنشدت فور انضمام العراق
لحلف بغداد. . .

يا نخيـــل العـــراق، مَـــنْ في العـــراقِ ... يرفـــع الهـــام بعـــد شـــد الـــوثاقِ؟!
تتســـــامى فـــــأيَّ شـــــيء ترجّـــــي ... مـــــن فضـــــاء مقطـــــب الآفـــــاق
نجمـــــه عنـــــك، يا نخيـــــل مشـــــيح ... وبعينيـــــــه دمعـــــــة الإشـــــفاق
والنســـــيم البليـــــل لفـــــح هجـــــير ... وغنـــــاء الغرّيـــــد شـــــبه اختنـــــاق
والضـــــحوكُ الفـــــرات يمضـــــي وئيـــــدا ... عـــــابس الشـــــاطئين، مـــــرّ المـــــذاق
هـــــل تـــــرى في العـــــراق غـــــيرَ ســـــياط ... وســـــجون رهيبـــــة الأعمـــــاق؟
وانتفاضـــــــات ثائـــــــر يتحـــــــدّى ... ودمٍ فـــــوق منكبيـــــه مـــــراق
وظـــــــلامٍ مغلـــــــف بالمنـــــــايا ... وصـــــباحٍ يبـــــدو بغـــــير اشـــــتياق
وغـــــدٍ، أمســـــهُ أعـــــزُّ وأشـــــهى ... رغـــــم أغلالـــــه الثقـــــال العتـــــاق

* * *

يا نخيـــل العـــراق، مالـــك تزهـــو ... بجنـــــان شـــــهية الأعـــــذاق
تحتهـــا أنهـــرٌ تهـــادى ســـكارى ... بـــين ألحـــان طيرهـــا والســـواقي

فـــاخفضِ الطـــرْف، هـــل تـــرى غـــير شـــعب كـــادح، نـــيرُهُ علـــى الأعنـــاق

يـــــزرع الأرض بهجـــــة ورجـــــاء ... وجنـــــاه مـــــرارة الامـــــلاق
بشـــم الغاصـــبون مـــن كـــدّ يمنـــاه ... وضـــنّوا بفضـــلة الأطبـــاق

* * *

عَجَبـــاً يا نخيـــل ، تشـــمخ زهـــوا ... فـــوق أرض تنـــوء بالأرهـــاق
ونفـــوسٍ مريضـــةٍ ســـوّدتها ... نـــزوةٌ مـــن تآمـــر ونفـــاق
نـــذرت شـــعبها وقـــودا وشـــدّت ... بيـــديها كـــوالح الأطـــواق
وأعـــادت ذكـــرى "وصـــيف" أميـــراً ... وبغـــا ســـيداً بأرض العـــراق[1]

* * *

[1] "خليفة في قفص بين (وصيف) وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا "

لا تُشِـــحْ يا نخيـــل وجهـــك عنـــا عـــن فـــؤاد العروبـــة الخفـــاق
واســـتجب أنَّـــة "اللـــواء" ســـليبا واســـتغاثات قدســـنا والـــبراق[٢]

* * *

يا نخيـــل العـــراق، لســـتُ بقـــومي كـــافرا، رغـــم غصـــتي واحتراقـــي
وبنـــاة الأمجـــاد قـــومي، وأرضـــي منبـــت الطيـــب مـــوطن الإشـــراق...
يا نخيـــل العـــراقِ، جرحـــك جرحـــي والرفـــاق الأباة فيـــك رفـــاقي
فـــاحطِمِ القيـــد يا نخيـــل واسْمِـــعْ زأرةَ الليـــث لا زغـــاءَ النّيـــاق

السويداء ١٩٥٥

[٢] لواء الإسكندريون السليب.

لن يطول الظلام

...في المغرب الدامي....

أغرقـــي باللهيـــب، بالـــدم، بالـــدمع بـــلادي، فلـــن تُـــذلَّ بـــلادي
وافرشـــي دربهـــا الضـــحوك قتـــاداً واغمـــري جانبيـــه بالأعـــواد
ســـنغطيّ الـــدروب بالمهـــج الحمـــر بصـــيحات ثأرنا، والجهـــاد
بالأعاصـــير تصـــطلي نُتـــفَ القيـــد وكـــفَّ المتعتـــع الجـــلاّد

* * *

هـــدّمي احرقـــي، اســـتبيحي فهـــذه الأرض، أرض الآباء والأجـــداد
يعـــربيٌّ فؤادهـــا، يعـــربيٌّ روحُهـــا، يعربيـــة المـــيلاد
خُلقـــت للنضـــال، للفـــتح، للســـيف، لـــزرع التـــاريخ بالأمجـــاد

* * *

قمـــم "الألـــب" لم تـــزل راعشـــاتٍ تحـــت أقـــدام مغـــربي النجـــاد[1]

ذُعـــرت مـــن دبيـــب أطـــواده الســـمر ومـــن صـــهلة العـــراب الجيـــاد
فتلـــوّت تخالـــه حلمـــاً ضـــجّ ولاذت محمومـــة، بالرقـــاد

وعلـــى صـــخرة المضـــيق تجلـــى فـــارس مـــن ســـفوحنا للطّـــراد
ســـكرت باسمـــه، وأي فخـــار لم يعصّـــب جبـــين شـــبل زياد
فجّـــر الصـــبح حولهـــا باليمـــانيّ فشـــعت منـــارة للرّشـــاد
ومضـــى يـــزرع الـــدنا ذكـــرياتٍ مـــن نـــدى شـــرقنا وعـــزّ البـــوادي

ذكـــرياتٍ يغـــار مـــن طيبهـــا الطيـــب وتنـــدى بـــراعم الأوراد..

* * *

وغفـــونا عـــن الزمـــان، فـــأغرى كـــل باغٍ وطـــامع في قيـــاد
شِـــيعاً مزَّقـــوا، بـــلادي، فهانـــت تحـــت أعراشـــهم بقـــايا بـــلادي
واســـتباح الغـــزاة في ظلمهـــم قـــومي وشـــدوا كـــوالح الأصـــفاد
فانتضـــى الســـيف كـــلُّ حـــر ودوَّت بـــزئير الآســـادْ سمـــرُ الوهـــاد
شـــهد الريـــف والجزائـــر منـــا عزمـــات الجبـــابر الأســـياد
وبأرض الشـــآم لم تلـــق إلاّ صـــارماً عاصـــياً علـــى الأغمـــاد

---

[1] هانيبال.

وأســـــــاطير وثبـــــــه ســـــــطرها أرضـــــنا بالنجيـــــع لا بالمـــــداد

* * *

زمجـــــــري، واغمـــــــري الرحـــــــاب دوياً وذَريهـــا ســـحائباً مـــن رمـــاد

وأشِـــــــيعي الحـــــــداد في دارنا البيضـــــــاء، واســـــــتعذبي ثيـــــــاب الحـــــــداد

وأبيحـــــــي لكـــــــل علـــــــج حمـــــــانا ودمـــــانا للضـــــاريات الصَّـــــوادي
والعـــــــذارى لكـــــــل وحـــــــشٍ تمطـــــــى واليتـــــــامى لمنســـــــم الـــــــروّاد
عَتِـــــبَ المجـــــد أن سمعـــــتِ أنـــــين الجـــــرح أو بِثْمْـــــتِ لهفـــــةً للضـــــماد
عتـــــــب المجـــــــد أن شـــــــكوناك إلا لشـــــــفارٍ عـــــــوارم الأحقـــــــاد
ونفـــــوسٍ مـــــا زادهـــــا الضـــــيم إلاّ ثـــــورة مـــــن تمـــــرّد وعنـــــاد

لـــــن يطـــــول الظـــــلام والفجـــــر يفـــــتر علـــــى مبســـــم الرّقـــــاق الجِـــــداد

السويداء ١٩٥٥

عدنا

أنشدت في مؤتمر المعلمين العرب
في الإسكندرية

عـــدنا فيـــا أمجـــاد عـــوديٍ عـــرباء مشـــرقة البنـــود
نحنـــو علـــى الـــدنيا ونغمرهـــا بأطيـــــاب الـــــورود
ونضـــــيء في جنباتهـــــا قَـــبَسَ المكـــارم مـــن جديـــد

* * *

عـــــدنا إلى الزمـــــان منـــــارة الـــــزمن البعيـــــد

في شـــــاطئ لمّـــــا يـــــزل يهـــب الرجـــاء إلى الوجـــود
نُـــــذكي ســـــناها كلمـــــا شـــاءت بمعطـــار الوقـــود
بالنـــــور مـــــن أحـــــداقنا والنـــار مـــن مهـــج الكبـــود

* * *

عَصَـــــفَتْ بأشـــــرعة الغـــــد المخضـــــرّ والأمـــــل العتيـــــد
هـــــوجُ الأعاصـــــير الغضـــــاب تضـــــجّ عارمـــــةً الحقـــــود
والليـــــل يقبـــــل في ســـــحائبَ مثـــــلِ جـــــنح الليـــــل ســـــود
فإذا منارتنا تطلُّ كبسمة الفجر الوليد
وإذا الشـــــراع مصـــــفقاً يهفـــو إلى القـــبس الرشـــيد

* * *

عـــــدنا نـــــردّ إلى العروبـــــة عـــــزة الأمـــــس المجيـــــد
وكرامـــــةً عبـــــث الغـــــزاة بهـــــا وكالحـــــةُ القيـــــود
فتمزّقـــــت نتفـــــا بـــــلادي بـــــين أشـــــلاء الوعـــــود
وتطاولـــــت فيهـــــا عـــــروشٌ تحـــــت أقـــــدام العبيـــــد

وتنمّـــــرت في ظلهـــــا أطمـــــاع باغ أو طريـــــد
فـــــإذا انتفاضـــــات الإبا تـــــزري بدمدمـــــة الرّعـــــود

دوتّ فـــــلا الأحـــــلام مغريـــــة ولا طعـــــم الهجـــــود

فالشـــــام ترصـــــف دربهـــــا بجمـــــاجم الشـــــمّ الأســـــود
وتمـــــرّ ظـــــافرة علـــــى أشـــــلاء فاتحهـــــا الطريـــــد

وتعـــــود تبـــــني للعروبـــــة فـــــوق أمجـــــاد الجـــــدود

* * *

وعلـــــى ضـــــفاف الرافـــــدين زئـــــير ليـــــث في حديـــــد
أن تُـــــدْم كفَّيْـــــهِ القيـــــودُ فلـــــن يلـــــين علـــــى القيـــــود
وإذا اســـــتكان، فـــــرُبَّ إعصـــــارٍ تفجـــــر مـــــن ركـــــود....
وبمغـــــرب العـــــرب الخصـــــيب تمـــــور لاهبـــــةُ النجـــــود
شمـــــاءَ، عيـــــد الثـــــأر في جنـــــاتهن وأيُّ عيـــــد!...
وبمصـــــرَ، عـــــرش البغـــــي مـــــدحور وفاســـــقة العهـــــود
أكـــــرم بثورتهـــــا وبالشـــــعب المظفـــــر والجنـــــود

وبقائـــــدٍ يبـــــني غـــــداً للعـــــرب مـــــن روح الخلـــــود

يا قائـــــد الجيـــــل الجديـــــد وملهـــــم الجيـــــل الجديـــــد
ومـــــروّض "الاســـــد" الحقـــــود وحـــــاطم القيـــــد العنيـــــد

إنّا هُنـــــا، فـــــاحطم بنـــــا دنيـــــا أســـــاطيرِ الحـــــدود
وارفـــــع علـــــى أشـــــلائنا أمجـــــاد "عُقبـــــةَ" و"الوليـــــد"

فلمثلنـــــا شـــــرفُ الفـــــداء وعـــــزة الحـــــر الشـــــهيد
ولنـــــا الغـــــد الطلـــــقُ الســـــعيد يـــــدك أحـــــلاف (الســـــعيد)

الإسكندرية ١٩٥٦

في غدٍ تزحف الجموع

أنشدت قبيل الاستفتاء
على وحدة الإقليمين
سورية ومصر ١٩٥٨

أشـــرقَ الفجـــرُ فالـــدروبُ ضـــياء ... وأناشـــيدُ عـــزَّة وحـــداء
وانطـــوى الليـــل، ليلُنـــا القـــاتم الـــدامي ... وفـــرَّتْ ســـياطُه الرعنـــاء
وتلاشـــت مـــع القيـــود أســـاطيرُ ... حـــدودٍ رهيبـــةٌ نكـــراء
وتهـــادى الغـــد الضـــحوك طليقـــاً ... و بـــه مـــن ســـنا الرجـــاء ســـناء
إنهـــا فرحـــة الحيـــاة، فميـــدي ... يا روابي، وهللّـــي يا ســـماء
وتَغَـــنَّيْ بأمـــتي، أنهـــا عـــادت – ... وإنَّا في أرضـــنا طلقـــاء..

* * *

ضـــلّ قـــومي في مَهْمَـــهِ الأمـــس – ... فانســـاحوا فلـــولاً يقـــودهم غـــرباء
غَـــرَّهمْ خـــادع الســـراب فهـــاموا ... وتهـــاوَوْا وهـــم جيـــاع ظمـــاء
كلمـــا ضـــجَّ، أو تســـاءل ركـــبُ ... عـــن مصـــير، تنمـــرّ الاجـــراء
واســـتحثّوا مكـــارم الصـــبر فيـــه ... وتعالـــت صـــلاتهم والـــدعاء
وإذا مـــا الحســـام جُـــرِّدَ للحـــق – ... وجاشـــت بصـــدرنا الكـــبرياء
وتهـــاوت (بميســـلون) الأضـــاحي ... وروت ســـفحنا الرهيـــبَ الـــدماء
أومـــأوا للغـــزاة أنا عصـــاةٌ ... وهـــمُ في بـــلادنا الأوصـــياء..
مَزَّقـــوا شـــعبنا ليبنـــوا عروشـــاً ... نخـــراتٍ يسوســـها دخـــلاء
يا لســـخريّة الزمـــان، رعـــاةٌ ... وذئابٌ في أرضـــنا حلفـــاء!..
خســـئوا لم نكـــن قطيعـــاً، وإنا ... أمـــةٌ، رغـــم أنفهـــمْ، عـــرباء
إن غفـــت حقبـــةٌ، فهـــذي الليـــالي ... تحـــت أقـــدام فجـــرنا أشـــلاء

* * *

أيهـــا التـــائهون في مهمـــه الأمـــس – ... ســـراب دروبكْـــم وشـــقاء
أزهـــرت واحـــة العروبـــة وافـــترَّتْ – ... وماســـت جناتهـــا الخضـــراء
وتثنّـــت فيهـــا الجـــداول ســـكرى ... وترامـــت في ربعهـــا الأفيـــاء
أَقبِلـــوا، أيهـــا الحيـــارى، فهـــذا الـــدرب ... طَلْـــقٌ، مشـــوّقٌ، وضّـــاء
دربُ حرّيـــةٍ يباركهـــا المجـــدُ ... وتبـــني صـــروَحها الشـــهداء
دربُ توحيـــدِ أمَّـــةٍ جبلتْهـــا ... مـــن عبـــير المكـــارم العليـــاء
كلمـــا راعهـــا الزمـــانُ، وهـــزت ... جانبيهـــا العواصـــف الهوجـــاء
أنبـــتَ الله مـــن ثراهـــا حســـاماً ... فيـــه مـــن عـــزة الإلـــه مضـــاء
يرتمـــي دونـــه لهـــاثُ الأعاصـــير ... وتُضـــحي مـــن حـــدّه الظمـــاء

* * *

في غـــــدٍ تزحـــــف الجمـــــوع لتبـــــني بيـــــديْها مـــــا هـــــدم الأعـــــداء

وحـــــدةٌ مـــــن هُـــــداتها الصِّـــــيد (شـــــكري) و(جمـــــالُ) المظفَّـــــر البنّـــــاء

الصـــــــناديقُ ، لاقـــــــتراعٍ فضـــــــولٌ والحنـــــــايا هتافُهـــــــا اســـــــتفتاء

يا ثارت عثمانا

ألقيت في حفلة التأبين التي أقيمت في حماه
إحياء لذكرى الفقيد عثمان الحوراني

ذكـــرى، أذيـــبي حنـــايا القلـــب تحنـــانا

وغرّقـــــي بعصـــــيِ الـــــدمع أجفـــــانا

وعـــذبي الكبـــد الحـــرى فـــلا شـــفيت

إذا اســـــتطابت علـــــى الأيام ســـــلوانا

أيغمـــــر العطـــــر أن تحجـــــب براعمـــــه

أو ينصـــــل الكوكـــــب الوضـــــاء إن بانا!

* * *

يا راقـــداً لم تـــذق طيـــب الكـــرى زمنـــاً

تحنـــو علـــى الـــوطن المكلـــوم ســـهرانا

ترعـــــاه بالمقلـــــة اليقظـــــى وتمنحـــــه

مـــــن بســـــمة الثغـــــر آمـــــالاً وايمـــــانا

وبالمهنـــــــد في الهيجـــــــاء منســـــــلطاً

وضـــــاء يرعـــــفُ أحقـــــاداً وأضـــــغانا

وبالمحبـــــــة تبـــــــني في مرابعـــــــه

معـــــاقلاً كرمـــــت جنـــــداً وبنيـــــانا

كالغيـــــث أن همـــــى فـــــالأرض ضـــــاحكة

تمـــــيس نـــــوراً وأطيـــــاباً وأفنـــــانا

وكالمنـــــــارة إبى أشـــــــرقت غمـــــــرت

درب الســـــــفينة أضـــــــواءً وألحـــــــانا

* * *

يا راقـــــداً لم تهـــــن يومـــــاً عزيمتـــــه

والقلـــب يـــدمى جراحـــات وأشـــجانا

يمضـــي إلى الغايـــة الكـــبرى بـــلا ســـند

طـــاوي الحشـــا يتحـــدى المـــوت حـــرانا

أفـــق أتســـمع في بغـــداد صـــيحتنا

عـــــرباء تهتـــــف يا ثارات عثمـــــانا

الناصـــبون لـــك الأعـــواد كالحـــة

والنـــاذروك لهـــا ظلمـــاً وعـــدوانا

والزارعـــــون قتـــــاداً درب أمـــــتهم

والنـــــاثرون دروب البغـــــي ريحـــــانا

والراقصـــون علـــى الأشـــلاء داميـــة

واللابســـون مـــن الأدران تيجـــانا

تشـــبث الحبـــل في أعنـــاقهم غـــرداً

وارتـــج يعصـــر جـــلاداً وســـجانا

وأفلـــت القيـــد مـــن أقـــدامنا وهـــوى

علـــــى جمـــــاجمهم ناراً وقطـــــرانا

في وثبـــة زعزعـــت عهـــداً وطاغيـــة

وهـــدمت مـــن صـــروح البغـــي أركـــانا

وحطمـــت مـــن ســـجون الشـــعب أنكرهـــا

وضـــمخت بعبـــير النصـــر دنيـــانا

مـــا كـــان أطربهـــا وقعـــاً وإن زأرت

في هـــدأة الليلـــةِ الغـــراء بركـــانا

بي غصـــــة إن نغـــــني في مواكبهـــــا

وأنـــت بالبســـمة الخرســـاء تلقـــانا

* * *

آمنـــت بالغـــد بســـاما وكنـــت بـــه

مبشـــراً والظـــلام المـــر يغشـــانا

وكنـــت بالثـــورة الكـــبرى أخـــا ثقـــة

والشـــعب يرســـف في الأغـــلال حـــيرانا

وبالعروبـــــة لا حـــــد يفرقهـــــا

روح توحـــــد آمـــــالاً وأوطـــــانا

إذا اســـتبد بهـــا الإعصـــار أهبهـــا

فأشـــعلت جنبـــات الليـــل نـــيرانا

ودمـــــرت مـــــن تمـــــنى أن يـــــدمرها

أحـــــلاف شـــــر وأعراشـــــاً وأعـــــوانا

فاهنـــأ فهـــذا غـــد، عـــز ومكرمـــة

يلـــوح خلـــف شـــراع الفجـــر ريانا

في مـــوطن تنبـــت الأمجـــاد تربتـــهُ

وأمـــــة شـــــاءها الـــــرحمن ربانا

يهـــدي الســـفينة في الجُلّـــى ويرشـــدها

للشـــاطئ الباســـم المخضـــر جـــذلانا

رســـالة حملتهـــا أمـــتي قـــدماً

وبلغتهـــا أناجـــيلاً وقـــرآنا

* * *

نم هائنـــاً فالغـــد المخضـــر شـــاطئه

غـــنى لمقـــدمنا شـــوقاً وحيـــانا

وأنـــت مـــن شـــرفات الخلـــد تنضـــحنا

بالـــورد حينـــاً وبالأطيـــاب أحيـــانا

* * *

نم هائنـــاً ولـــك الـــذكرى الـــتي غمـــرت

أرواحنـــا أرجـــاً فـــذاً وعرفـــانا

ذكـــرى ســـتبقى منـــاراً يستضـــيء بـــه

ركـــبٌ تعشـــق درب المجـــد مـــذ كـــانا

حـــرٌ لـــوا النصـــر معقـــود (بناصـــره)

والحـــــــــاطمين طواغيتـــــــــاً وأوثانا

حماه ١٩٥٨

ذكريات
صور من حياة الشاعر
الذي رافق أحداث الوطن الدامية
من ثورة ١٩٢٥، وهو طفل...
إلى المنفى والخيام في الصحراء
إلى مظالم المستعمرين
واستبداد الدخلاء والغاصبين
ودسائس العملاء... وهو شاب
إلى تحطيم القمقم الرهيب
وانتفاضة المارد العربي...
بعد أن كاد يرهق الدهر
همته وشبابه
١٩٥٩

أرهَـــق الـــدهرُ همـــتي وشـــبابي وســـقتني كفـــاه مـــرَّ الشـــراب

وتـــراءى غـــدي ظلامـــاً ، وآمـــالي ســـراباً يغـــوص خلـــف ســـراب
لا تلمـــني، فقـــد ولـــدت مـــع الخـــوف شـــريداً، ملفعَّـــاً بالضـــباب

هائمـــاً، تطلـــب الحـــرابُ دمـــائي وشـــفاهُ الغـــزاة خَلْـــفَ الحـــراب
ونســـورٌ مـــن الحديـــد تـــدّوي ناثـــراتٍ أشـــلاءنا في الـــروابي
زارعـــاتٍ دروبنـــا بالمنـــايا والليـــالي برعشـــة وارتقـــاب...

* * *

حملتـــني أمـــي مـــع النســـوة الثكلـــى – وهامـــت مـــذعورةً في الشـــعاب
في كهـــوف الـــذئبان ترجـــو مـــلاذاً لبنيهـــا، مـــن الطغـــاة الـــذئاب
والحفـــاة الأيتـــام حـــولي جيـــاعٌ والأيامـــى في غصـــة وانتحـــاب...

لم يعـــدْ، لم يعـــد أخـــوك، وتبكـــي ثم أبكـــي بدهشـــةٍ وارتيـــاب

* * *

وأبي عاصـــبُ الجبـــين جـــريحٌ وعلـــى نصـــله بقـــايا خضـــاب

يتغـــنى بأنـــه والميـــامين مـــن الشـــيب والأباة الشـــباب

أَشَـــهَدُوا أن (في الســـويدا) رجـــالاً، أُسُـــداً فـــوق صـــافنات عـــراب
عصـــبةٌ يعربيـــة الأصـــلِ لم تعـــرفْ ذراهـــا رطانـــةَ الأغـــراب
للمـــروءات، للنـــدى، لنـــداء الثـــار، للطيـــب، للـــرزايا الصـــعاب...

* * *

وتنقَّلـــتُ في الخيـــام مـــع الحرمـــان في مهمـــهٍ بخيـــلِ الســـراب
هَجَرْتـــهُ حـــتى الســـباعُ وحـــتى قطـــراتُ النـــدى وظـــلُّ الســـحاب
عشـــتُ فيـــه أجفّـــف الـــدم والـــدمع بأنفـــاس حـــره اللهّـــاب

لا أنـــيسٌ إلا صـــهيلُ جـــوادٍ يشـــتكي مـــن مذلّـــة الأَطنـــاب

أو نشيـــدٌ مـــن ســـاهر يبعث الشـــوق لهيـــباً علـــى أنـــين الربـــاب
شـــوقنا للـــديار، للكـــرم، للبيـــدر، للفـــيء، للشـــذا، للـــتراب

* * *

وترعرعـــتُ، صـــرخة الثـــأر في سمعـــي ونار الحقـــود في أعصـــابي
وبـــلادي في قبضـــة البغـــي أشـــلاء تلـــوّى في لجُّـــةٍ مـــن عَـــذاب

تحـــت أقـــدام غاصـــبٍ أو دخيـــلٍ أو عميـــلٍ مســـتحدثٍ أو محـــابي
نخـــراتٌ عروشـــهم، والغـــات بـــدم مـــن جراحنـــا مســـتطاب

* * *

وإذا رعشـــةُ الحيـــاة تـــدّوي في انتفاضـــات مـــارد غـــلاّب
حطَّـــمَ القُمـــمَ الرهيـــبَ، وشـــعَّتْ في محيـــاه بســـمةٌ كالشـــهاب

تهـــزم الليـــلَ، ترســـم الـــدربَ، تجتـــثُّ بقـــايا الأوثان والأنصـــاب

يا زعيمـــي، يا ملهـــم الجيـــل روحـــاً حـــرة يعربيـــة الأطيـــاب
دربُـــك الـــدربُ لا نحيـــد، وفينـــا بعـــض عـــزمٍ مـــن عزمـــك الـــوثاب
وإذا أنّـــت الحنـــايا، فعُـــذري أنَّ بي، مـــن مـــرارة الأمـــس مـــا بي

* * *

ســـوف أســـلو لأجـــل عينيـــكَ أمســـي وأغـــنّي غـــدي لحـــونَ الشـــباب

ذكرى المالكي

في ذكرى
عدنان المالكي
شهيد العروبة
١٩٦٠

سأبسمُ رغم داميةِ الجروحِ ... وأطوي بالنشيد أنينَ روحي
وأسلو بالغد المخضرّ أمسي ... وعُابسةَ المرابع من سفوحي
فأمضي، والرجاء يثير دربي ... ويوقظ، بعد غفوته، طموحي
أحاول أن أُلملم ذكرياتي ... وأسرقها من الجفن القريح
وأقتبلَ الحياة بغير أمس ... وأنعمَ بالفؤاد المستريح

* * *

مددتُ يدي إلى الماضي برفق ... لأحجبَهُ عن الفجر الصبيح
فعادت وهي حاملةٌ عتابا ... وطَيْفُ الأمس يهزأ من جنوحي
وذكرى المالكي لهيب نار ... تؤرّق مقلة الغَرد المُشيح
أطلت في دياجينا شهابا ... تضمّخ من دم البطلِ الذبيح
فأحيا بالشذا أنفاس شعب ... أبيّ، رغم كبوته، جموح
وشق بضوئه حُجُباً عتاقاً ... منارٌ يستخف بكل ريح
ويفضح كل خافية، ويرمي ... ربيبَ الليل بالقَبَس المبيح
ويَهدي الحائرين، فلا انحرافٌ ... ولا توهٌ عن الدرب الصريح
ويعلو من منارته هُتاف ... يهز جوانب الكون الفسيح
لئن صلب المسيح فألفُ فجرٍ ... تدفق من جراحات المسيح

* * *

بحقك أيها القبس المدمىَّ ... بحق نظارة الوجه المليح
بحق ربيعك الطلق المسجّى ... وبالسيف الميّتمّ والضريح
تقبلْ أن شكوتُ الأمس عذري ... وإن أغريتُ بالسلوان روحي
أألمح فيه غيرَ رنينِ قيدٍ ... وأفاقٍ كحالكةِ المسوح
وأهاتِ اليتامى والأيامى ... وأنّاتِ المشرَّد والجريح
وليثٍ عن خميلته طريدٍ ... ونسرٍ فوق ملعبه طريح
وأسيادٍ من العبدان تُزْرى ... وأعراشٍ تُشيَّدُ من صفيح...
كفرت بسالف الأيام ، لولا ... دم الشهداء يعبق بالنضوح

* * *

فتى الهيجاء، إن رزئت بلادي ... بفقد العضْب والرأي الرجيح
وإن تطمعْ لمصرعك العوادي ... فتغري الغاصبين بنا ، وتوحي

فمنّـــا ألـــفُ عـــدنانٍ سيمضـــي ... ليعصـــف بالبغـــيّ المســـتبيح
ويغســـلَ بالشـــهادة كـــلَّ عـــارٍ ... ويثـــأرَ بالفتـــوح مـــن الفتـــوح
فنمشـــي ، والفـــتى العمـــلاقُ يعلـــي ... لـــواء المـــالكيّ علـــى الصـــروح
ويحتضـــن الرســـالة مـــن يديـــه ... بقلـــبٍ واثـــقٍ، ثبـــتٍ، سمـــوح
فـــلا الإعصـــار يُرهبـــه غضـــوباً ... ولا همـــس الدســـائسِ والفحـــيح
يحـــاول أن يطاولـــه دعـــيٌّ ... تســـنَّم ظهـــر قـــزم أو كســـيح...
لأن طالـــت ظـــلالُ الشـــيح يومـــاً ... أتغمـــرُ دوحـــةً أفيـــاء شـــيح
وأن نجّـــى الظلـــيمَ ذرا كثيـــب ... فمـــا فـــرخ النعامـــة بالســـبوح

* * *

وثقـــتُ بمنقـــذ العـــرب المفـــدّى ... لكـــل جـــوارح الغَـــرِدِ الصـــدوح
يوّشـــي بالكرامـــة ذكـــرياتي ... ويأســـو بابتســـامته جروحـــي

دمشق ١٩٦٠

اليرموك
مسرحية شعرية
(١٩٤٣)

سلامة عبيد

ذكِّرينا

ذكرينا .....
مقدمة لمسرحية اليرموك
التي مثلت بحضور
سلطات الانتداب الفرنسي
وألقيت هذه القصيدة....

ذكرينـــــا فقـــــد ألِفْنـــــا التصـــــابي ورخـــيصَ الهـــوى ورجـــع الـــرباب
ونســـــــــــينا أيام كنـــــــــــا أباةً نمـــلأ الكـــون بالنـــدى والشـــباب

* * *

يا ضـــفاف اليرمـــوك مالـــك أقفـــر ت من الشم والأسود الغضاب
يا ضـــفاف اليرمـــوك مالـــك أغضيـــ ت علـــى غمـــرة الزمـــان المحـــابي
يا ضـــفاف اليرمـــوك آن لـــك البعـــ ـــث فميـــدي وهللـــي يا روابي

جبلـــي؟ هـــل شـــهدتها وهـــي تـــرتج ارتجـــاج الرعـــود خلـــف الســـحاب

مائجـــات، مجلجـــلات الهتافـــا ت حيـــارى، محمومـــة الأعصـــاب
تحـــت أقـــدم أمـــة تطلـــب الفتـــ ـــح وجـــيش مظفـــر غـــلاب
ربـــض الـــروم فوقهـــا يطلبـــون الثـــ ـــار حمـــر العيـــون والأنيـــاب
أثقلـــوا الســـفح بالحصـــون الرواســـي وقبـــابٍ تمتـــد خلـــف قبـــاب
وســـــلاحٍ مقعقـــــع وجيـــــوش عـــددِ الرمـــالِ والحصـــى والـــتراب
بـــــين رامٍ ورامـــــح وأخـــــا در ع وحـــر وطامـــع في نهـــاب
أزمعـــوا ســـحق أمـــة تتنـــزى نـــزوانا في عزمهـــا الـــوثاب
أمـــــة يعربيـــــة جبلتهـــــا راحـــة الـــدهر مـــن صـــليل الحـــراب

* * *

ذكرينـــــا تاريخنـــــا وغـــــلانا وأحاديـــث مكرمـــات عـــذاب
ذكرينـــــــا أيام كنـــــــا أباة نمـــلأ الكـــون بالنـــدى والشـــباب

اليرموك مسرحية شعرية ذات فصل واحد

وثلاثة مشاهد

الأشخاص

شرحبيل: الأمير الجريح

جمانة: ابنة قالون ممرضة

قالون وفامي: جاسوسان

عصام: حاجب شرحبيل

خالد ابن الوليد: أمير يأتي لنجدة شرحبيل

عجوز جاءت لشرحبيل شاكية

جندي روماني جريح

جنود عرب خارج الخباء لا يظهرون على المسرح

يجري حوار الجاسوسين أمام الستار قبل رفعه، يأتي قالون من اليمين ثم يتبعه فامي، ويقدم الحاجب من اليسار.

قالون (وحده):

وأخـــيراً عرفـــتُ أمـــراً عظيمـــاً ... مدهشـــاً، واكتشـــفت ســـراً جديـــدا
ســـوف يقضـــي علـــى العروبـــة بالمـــو ... ت ويفـــني أبطالهـــا والجنـــودا
بعـــد أن تنهـــل المـــرارة والعـــا ... ر وتلقـــى ســـياطنا والقيـــودا
جيشُـــها ظـــافراً غـــزانا ولـــن تلـــ ... ـــقاه إلا مكـــبلا أو شـــريدا
ســـيدي قيصـــر علـــى عـــرش رومـــا ... مـــلأ الـــبر والبحـــار جنـــودا
وجواســـيس تخطـــف الهمســـة الخـــر ... ســـا وتـــذري وعيـــدها والوعـــودا
ســـيدي قيصـــر ســـيمنحني العطـــ ... ـــف وأمســـي مكرمـــاً محســـودا
وأُلاقـــي مـــالاً كثـــيراً وجاهـــاً ... وفضـــاءً رحبـــاً وظـــلاً مديـــدا
كيـــف لا وابنـــتي جمانـــةُ صـــارت ... في مقـــر العـــدو فخـــاً حديـــدا
هـــي في خيمـــة الأمـــير شرحبيـــ ... ـــل تؤاســـي جرحـــاً بليغـــاً عنيـــدا
فتلاقـــى جـــوداً عميقـــاً وألقـــى ... في حماهـــا مـــلاذي المنشـــودا
أســـرق الســـمع وهـــي لا تـــدرك الأمـــ ... ـــر فأفشـــي ســـراً وأخفـــي حقـــودا
أذنـــت لي بالنـــوم قـــرب خبـــاءٍ ... يتلـــوي فيـــه الأمـــيرُ وحيـــدا
فتظـــاهرتُ بالكـــرى غـــير أني ... بـــت ســـهران مُنصـــتا مســـتفيدا
فـــإذا القائـــدُ المنفـــذ همّـــام ... يـــوافي أميـــره مســـتزيدا
فســـمعتُ الحـــديث حرفـــاً فحرفـــاً ... وعرفـــتُ التـــدبير والمجهـــودا
ويحكـــمْ أيهـــا الحفـــاةُ العـــراة الـــ ... ـــسمرُ يا مـــن كنـــتمْ لرومـــا عبيـــدا
ليـــتكم ظلـــتمُ النيـــامَ الأذلا ... ءَ وليـــت الخيـــام ظلـــت لحـــودا
إننـــا اليـــوم ســـوف نســـحقكم سحـــ ... ـــقاً ونمحـــو طـــريفكم والتليـــدا

(خائفاً)

مـــن تُـــرى يُقبـــل نحـــوي ... تحـــت أســـتار الدجنّـــة
علـــه بعـــض جنـــود القـــ ... ـــوم هـــل خيبـــت ظنـــه

وتواريت...

(فامي):

.... تمهـــــــــــــــلْ ... وترفّـــــــق يا أُخيّـــــا
أنا مســـــــكينٌ فقـــــير ... خـــانني الـــدهرُ فتيـــا

هـــل ألاقـــي بـــين هـــذا الجمـــع يا (راء) ســـخيا

قالون (لنفسه):

(راء) قـــد تعـــني وحـــق الـــ ـــــله عنـــد الشـــيخ شـــيّا

لفامي

ذاك صـــــيوان أمـــــير الـــــ ـــــــجود يا (واو) فهيـــــا

فامي:

ســـــــيدي إذ قلـــــــتُ (راء) قلـــــــتَ (واواً) بعجـــــــلْ
فـــإذا مـــا قلـــتُ (ميمـــاً)

قالون:

.... ألفـــــاً (قلـــــتُ).....

فامي:

.... أجـــــــــلْ!
أنـــت تعـــني اســـمَ رومـــا إنهـــا فخـــرُ الـــدولْ

قالون:

عشـــــــــتِ رومـــــــــا

فامي:

عشـــــــــتِ رومـــــــــا عشـــــــتِ يا بنـــــت الأزلْ

قالون:

عـــــاش مـــــولاكِ المفـــــدّى قيصـــــــــــــــرُ..... ....

فامي:

... ... عـــــــاش الأجـــــــلّ

قالون:

لقـــد جئتَـــني يا صـــاحِ في خـــير ســـاعةٍ وخلـــف الـــدجى شـــرُّ العـــدى متفـــاقمُ
لهـــم خطـــةً جُلّـــى كشـــفتُ قناعهـــا وإني علـــى إعـــلام قيصـــرَ عـــازمُ

فامي:

مـــتى كـــان للأعـــراب كيـــدٌ وخطـــة؟ لعلـــك عـــن لـــب الحقيقـــة واهـــمُ!

فمـــا هـــمُ إلا حفنـــةٌ مـــن قـــذارةٍ تقاذفهـــا رمـــلُ الفـــلا المـــتلاطمُ

قالون:

لقـــد كـــان قـــبلاً ذلـــك الظـــنُّ ســـائداً ولكنـــني بالقـــوم يا شـــيخُ، عـــالم
لهـــم جحفـــلٌ غَمْـــرٌ، وخيـــلٌ ضـــوامر، وسمـــرٌ طـــويلاتٌ، وبـــيضٌ صـــوارم
وأبطـــالُ هيجـــاءٍ إذا مـــا تســـعّرتْ لظـــى الحـــرب راحـــتْ للـــردى تتـــزاحم
أتاهـــم نـــبيٌّ مـــزق الجهـــلَ نـــورُه وأضـــفتْ علـــى الصـــحراء منـــه المكـــارم
فـــألفَّ مـــا بـــين القلـــوب وبـــدّدتْ ضـــغائنهَا آياتُـــه والمـــراحم
ووحـــد بالقـــرآن أشـــتاتَ أمـــةٍ فـــلا العبـــدُ مظلـــومٌ ولا الحـــرُّ ظـــالم
وســـيّرها للفـــتح فهـــي صـــواعقٌ إذا غضـــبتْ، وهـــي النـــدى والغمـــائم

فامي:

أتمـــزح أم تغـــني الـــذي أنـــت قائـــل؟ وهـــل تبعـــث المـــوتى الرُقـــى والتمـــائمُ؟
رعـــاةٌ غـــزاةٌ خـــاملون يقـــودهم إلى الفـــتح راعٍ للشُـــويْهات خـــادمُ!
لعمري عجيبٌ أمره!...

قالون:

..... تلـــــــك ســـــــيرة حقيقيـــةٌ أغَضـــتْ لـــديها المـــزاعمُ
لـــئن ظلّـــت الرومـــانُ تُهمـــل شـــأنها ولم تقتنـــع أن الخطـــوب عـــوارم
وأن بـــني الصـــحراءِ قـــومٌ بواســـلٌ موحـــدة آمالـــهُم والعـــزائمُ
فبشّـــرْ بخســـران الشـــآم جميعهـــا وجيشُـــك مهـــزوم وقيصـــرُ نادمُ

فامي:

تبـــالغُ يا هـــذا فرومـــا قويّـــةٌ لهـا النصـــرُ في اليـوم الرهيـــب مُـلازمُ

قالون:

ولكـــنّ جـــيش المســـلمين مظفـــراً أتـــى واديَ اليرمـــوكِ وهـــو المهـــاجم
فإن لم نُبدْهُ اليوم.....

فامي:

..... يكفـــــــي تشـــــــاؤماً أتطمـــعُ في صـــيد البـــزاة الحمـــائم؟
لـــئن زُعزعـــتْ شـــمُّ الرواســـي فجيشُـــنا عظـــيمٌ منيـــعُ الجـــانبين مقـــاوم

قالون:

أرانا نُضـــيع الوقـــت في غـــير طائـــلٍ وللفجـــر في الأفـــق البعيـــد علائـــمُ
وقيصـــرُ عمـــا دبّـــر القـــومُ غافـــلٌ

فامي:

.... تكلّمْ فقد يُجدي الذي أنت كاتم

قالون:

تمخّضت الصحراءُ عن خلق أمةٍ يعزّزها إيمانُها والكتائبُ
فجيشٌ على الأردن وهو يمينها تضيق به شطآنه والجوانب
عليه أميرٌ رأيُه مثلُ سيفه فتىً من بني الجرّاح فذٌّ محارب
وجيشّ يحاذي البحرَ وهو شمالُها شبيهٌ بموج الّيمّ واليمُّ غاضبُ
عليه أميرٌ من بني العاص مرعبٌ إذا اعتنقتْ يوم النزال القواضبُ
وجيشّ على اليرموك وهو فؤادُها تراءى لنا فرسانهُ والنجائب
عليه شرحبيلُ الذي شاع ذكرُه ولكنه عن ساحة الحرب غائبُ
جريحٌ وفي هذا الخباءِ ممدّدٌ وقد عقلتْ رجل الأمير العصائبُ

فامي:

شرحبيلُ في هذا الخباءِ؟! ....

قالون:

... ... بنفسه وهذا الذي في الليل كنتُ أراقبُ
أتى أحدُ القواد في ظلمة الدجى ولا ساهرٌ إلا أنا والكواكب
فأيقظ مولاه الأميرَ وقد بدتْ على وجهه آلامُه والمتاعب
وقال: رأيتُ الروم تغلي جموعها وترسي على اليرموك منها المضاربُ
لها عددُ الأحجار والرمل والحصى جيوشٌ عديداتُ البنودِ أشائبُ
فكيف نُباديهم ونحن قلائلٌ فقال شرحبيلُ: استعدوا وحاربوا
وأرسلْ إلى الأردن أمراً معجّلاً لتحضرَ حالا جندُه والمواكبُ
ولا تُبق للجرّاح إلا طلائعاً تقارب أحواض العدى وتجانب
وأعلمه أن يخفي على القوم سرّه فقد كثرتْ في العسكرين الثعالب

فامي:

أأنت سمعت هذا ؟! ....

قالون:

.... أي وربي سمعت بهذه الأذن النقيّةْ
فطرْ واشرحْ لقائدنا النوايا وأخبارَ العدو العسكريةْ
ليبعثَ نحو ميمنة الأعادي جيوشاً في أسنتها المنيةْ
فتُفنيها وتلتفّ التفافاً على الأعراب مسرعة خفيةْ
فتُعمل في ظهورهمُ المواضي ولا تُبقي لجيشهم بقيةْ

فامي:

أجـــدت أجـــدت يا بطـــلاً قـــديراً فـــوا فرحـــاه! وا نصـــر القضـــيّةْ!
لقـــد بســـم الزمـــانُ لنـــا... ولكـــن أتســـمع وقـــع أقـــدام أخيّـــةْ؟
أرى شـــبحاً! تلفّـــتْ !مَـــنْ تـــراه؟ يـــيمّم شـــطرنا... يا للبليـــةْ؟

قالون:

تماســـكْ حاجـــبٌ هـــذا رآنا قريبـــاً مـــن خيـــامهم فجـــاءَ

الحاجب:

أخطـــب ســـاق شخصـــكما إلينـــا؟

قالون:

أجـــل والخطـــبُ أرهقنـــا ســـواءَ
ضـــللنا الـــدرب لا زادّ نرجّـــي ونحـــن العـــاجزان ولا غطـــاءَ

الحاجب:

أيشـــكو جـــارنا جوعـــاً وقـــراً!؟ بربكمـــا أدخـــلا هـــذا الخبـــاءَ
ففيـــه لمـــن أراد الـــزاد شـــبعٌ ويلقـــى مـــن شـــكا القـــرَّ الفـــراءَ
ادخـــلا فهنـــا فتـــاةٌ ســـوى تعـــنى بأمركمـــا فهيّـــا إن تشـــاءا
ولكـــن حـــاذرا صـــخَباً وهَرْجـــاً فـــإن أمـــيرنا يُغفـــي عيـــاءَ

(وحده)

إذا نُســـب الجـــودُ الرفيـــعُ فإنمـــا منابعُـــه فينـــا وفينـــا روافـــدُهْ
فكـــلُ فتـــاةٍ تنطـــق الضـــاد أمُّـــه وكـــلُّ فـــتىً صـــافي العروبـــة والـــدُهْ

المشهد الثاني

يرفع الستار في خباء منصوب، فيه الأمير الجريح النائم ممداً على سرير، في زاويته الجاسوسان يأكلان في طبق ويتساران، وجمانة في مقدم المسرح.

جمانة (مرتابة):

من ترى هذا الذي يحدو أبي ... خائفاً في زيّه المستغرب؟!
وأبي يمشي وئيداً حائراً ... إن في ذلك بعض الريَب
لِمْ عن الحاجب أخفى أمره؟ ... وبدا في مظهر المكتئب؟
لِمْ أتاني زائراً سراً وهل ... لتخفّيه ترى من سبب
أترى يخجل أني بنته ... وهو من جاء إلى مولاي بي
عن أمير القوم لم يسأل وقد ... كان يجلو عنه بعض الكرب
بحديثٍ طيب مسترسل ... وفكاهات الأديب الطرب
كيف يمضي دون أن يخبرني ... ومصابيحُ الدجى لم تغب؟
ثم يأتي في ثيابٍ رثة ... وتقاسيم الذليل المتعب
ساحباً شيخاً غريباً عاجزاً ... من تراه؟ صاحبٌ أم أجنبي؟
ثم ما هذا؟ حديثٌ خافت ... عن بني الروم وجيش العرب
والفتى الجراح هل من حاجة ... لهما فيه وهل من أرب؟
إن في ذلك سراً، كشفُه ... واجبٌ والسر لا شك خبي
ولكي أكشفه أخفي الذي ... أحدثته حائماتُ الريبِ

فامي:

هذه بنتك يا صاح؟

قالون:

.... أجل ... إننا نرجو لها خير مكانه

فامي:

بقيت للروم ذخراً طيباً ... ما اسمها أيدها الرب؟....

قالون:

فامي:

ذهب الحاجب يا بنت؟

جمانة:

..... نعـــــــــــــــــم ومضـــى يرســـل في الجـــو أذانـــه

إن يكـــن مـــن حاجـــة ســـلها! ففـــي خدمـــة الصـــيف توليـــتُ مكانـــه

فامي:

كنت أرجو شكره (يهم بالخروج)

جمانة:

..... ســـــــــوف يجـــــــــي.. ســـفرُ الضـــيف بـــلا إذن مهانـــةْ

فامي:

سرْ بنا (يخرجان من الخباء)

قالون:

ســـــــر قبـــــــل أن يأتي وعُـــــــدْ حـــاملاً نحـــو بـــني الـــروم الأمانـــةْ

ســـــابق الـــــريحَ إن اســـــطعَت ففـــي هـــذه الأخبـــار للنصـــر ضـــمانةْ

أمـــــا أنا فـــــإلى الأردن منصـــــرف تـــواً فأكشـــف أخبـــاراً وأســـرارا

وأشـــهد الذبحـــة الكـــبرى فوافرحـــا والجـيش جـيش الفـتى الجـراح فـرّارا

مـــا أجمـــل النصـــر والـــرنانُ يتبعـــه ومـــا أحيلـــى القصـــور البـــيض والغـــارا

(يخرجان)

جمانة: (وحدها)

لم يلـــتقط مســـمعي شـــيئاً يســـاعدني على الخفـــايا الـــتي أصـــبحتُ أرتقـــبُ

الـــروم والنصـــر ألفاظـــاً ترددهـــا كـــلُّ الشـــفاه فـــلا شـــكٌّ ولا عتـــب

لكـــنَ أمـــر الفـــتى الجـــراح ملتـــبسّ مـــا شـــأنُه؟ كثـــرت في شـــأنه الريـــب

أني أحـــــس بأخطـــــار تهـــــدده وســـاعة الوثبـــة الهوجـــاء تقـــترب

أني أحـــــس بأســـــرارٍ محوّمـــــةٍ رهيبـــة في الفضـــاء الرحـــب تضـــطرب

في حـــــيرة تـــــركتني لا يســـــاورني هـــمٌّ مقـــيم ولا يأسٌ ولا طـــرب

أبي إلى نصـــــرة الرومـــــان يـــــدفعني والقلـــب نحـــو بـــني الصـــحراء منجـــذب

وكيـــف أنصـــر مَـــنْ لم يرحمـــوا وطـــني يـــوم الرخـــاء، ومَـــنْ أقـــوالهم كـــذب

قـــالوا بأن جيـــوش المســـلمين إذا مـــرت بأرضٍ فـــلا ضـــرعٌ ولا عُشُـــبُ

القتـــل والنهـــب والتـــدمير شـــأنهمُ والمـــال همهـــمُ والقـــوت والســـلب

أمـــامهمْ جحفـــلٌ مـــن كـــل معصـــية وخلفهـــم صـــرخةُ الأيتـــام واللهـــب

قـــالوا اذهـــبي واشـــفعي يا بنـــت عنـــدهمُ فقـــد تخـــفّ شـــرورُ القـــوم والغضـــب

فجئـــت والواجـــبُ القـــوميُّ يـــدفعني واليـــأس يـــرهقني والهـــمُ والرعـــب
لكنـــــني لم أجـــــد إلا غطارفـــــة تـــزينهم رفعـــةُ الأخـــلاق والأدب
قـــوم أباةٌ لهـــم حلـــمٌ ومكرمـــة وجـــودهم كفنـــون الغيـــث منســكب
في مـــأمن جـــارهم مـــن كـــل طارئـــة والمســـتجير بهـــم مســـتأنس لعـــب

إني سمعـــت حـــديثاً للأمـــير شـــرحبيل الجـــريح وقـــد خفّـــت بـــه النجـــب

مـــن آل غســـان، والصـــحراء منبـــتهم وعرشُـــهم في ظـــلال الـــروم منتصـــب
"أنـــتمْ بنـــو عمنـــا والأصـــل يجمعنـــا وإن تفرقـــت الأهـــواءُ والكتـــب
بـــين الـــدماء الـــتي تـــروي عـــروقكم وبـــين هـــذي الـــدما يا قومنـــا نســـب
جئنـــا نـــذود ونفـــديكم بأنفســـنا لا جنـــة الشـــام أغرتنـــا ولا الـــذهب
جئنـــا نحـــرركم والحـــق ينصـــرنا وعســـكر مـــن بـــني أعمـــامكم لجـــب
هنـــا علـــى ضـــفة اليرمـــوك ســـوف نـــرى أعلامنـــا مـــن دم الأعـــداء تختضـــب
فـــلا يظـــن العـــدى دينـــاً يفرقنـــا إنا إذا لاح خطـــبٌ كلنـــا عـــربُ"

* * *

مـــا أحيلـــى تلـــك النفـــوس الأبيَّـــةْ جبلـــت مـــن ســـلافة العبقريـــةْ
كـــم تمنيـــت أن تكـــون دمـــائي مـــن دمـــاهم ونشـــأتي بدويّـــةْ
كـــم تمنيـــت أن تكـــون... ولكـــن أنا مـــنهم دمـــاً وروحـــاً ونيّـــةْ
إن يكـــن والـــدي مـــن الـــروم فـــالأم نمتهـــا ســـلالة يثربيـــةْ
وأنا مـــنهمُ لأني أحـــب الـــ ـمجـــدَ والعـــزم والنفـــوس الأبيـــةْ
وأنا مـــنهم فهـــذا لســـاني عـــربي، ومـــوطني ســـوريّةْ
لســـت عـــوناً للـــروم يشـــهد ربي أنا عـــونٌ لأمـــتي العربيـــةْ

(شرحبيل يستيقظ)

شرحبيل:

أفٍّ لهـــذا الجـــرح ضـــاقت بـــه روحـــي وخلـــى مقلـــتي ســـاهرةْ
كأنمـــا في لبـــه سوســـةٌ مجنونـــة، ناقمـــة، ناخـــرةْ
رباه مـــا ذنـــبي فـــألقى الأذى والأســـر في ذي الخيمـــة الضـــامرةْ؟
بينـــا بنـــو قـــومي يُـــذيب الـــوغى جســـومهمْ، والحومـــةُ الـــدائرةْ
دمـــاؤهمْ فـــوّارةٌ تغتلـــي وخـــيلُهمْ محمومـــةٌ ثائـــرةْ
طـــاروا إلى المـــوت كبـــار المـــنى في هـــذه الـــدنيا وفي الآخـــرةْ
رباه مـــا ذنـــبي فـــلا مســـمعي تطربـــه ســـهامُنا الصـــافرةْ
ولا صـــهيلُ الخيـــل في كرهـــا ولا صـــليل القُضُـــب البـــاترةْ
حـــرمْتَني يا ربّ مـــن فتكـــةٍ تـــروي وتشـــفي نفســـيَ الحـــائرةْ

وجولـــةٍ بـــين صـــفوف العـــدى رابحـــةٍ، لا فـــرق، أو خاســـرةْ

(إلى جمانة)

قـــولي جمانـــة هـــل تـــنفّس ذلـــك الصـــبحُ المنـــير

جمانة:

أجـــل اســـتفاق ولاح في الشـــرق المظفـــر يا أمـــير
في وجنتيـــه مـــن الحيـــا ورد وبســـمته طهـــور
والغـــيم في الأفـــق البعيـــد ـــد ملائـــك بـــيض وحـــور
والكـــون نفّـــض غـــبرة النـــ ـــوم الكئيبـــة فهـــو نـــور
والزهـــر فـــتّح مقلتيـــ ـــه فضـــمخ الجـــو العبـــير
والـــروض داعبـــه الصـــبا فترنحـــتْ منـــه الخصـــور
والطـــير في الجـــو الفسيـــ ـــح مرفـــرف غـــرد فخـــور
لم يبـــق شـــيء في الـــدنى حـــيّ، بـــه نفـــس يـــدور
إلا أفـــاق، وبانتظـــار الـــ ـــشمس مرتقـــب صـــبور

(الحاجب يدخل):

إلا جيـــوش العـــرب آســـاد المعـــامع والنســـور
لم تنتظـــر إشـــراقها والصـــبر في الهيجـــا مريـــر
هجمـــت علـــى الأعـــداء فـــالوادي يزلزلـــه الـــزئير

شرحبيل:

حيـــاك ربي أنـــك الـــ ـــمحبي العـــزائم والبشـــير

(إلى جمانة)

هـــاتي لنـــا لبنـــاً، جمـــا نـــة .....

جمانة:

..... إنـــه أمـــرٌ يســـير

شرحبيل:

أيهـــا الحاجـــب الأمـــين تمهّـــلْ ودع الفخـــر جانبـــاً والخيـــالا
جيشُـــنا باســـل جســـور ولكـــن جـــيش أعـــدائنا يفـــوق الرمـــالا
مـــلأ الســـهل والشـــماريخ والـــود يان وانســـاب في الشـــعاب وســـالا
هـــو جـــيش مـــدرب مـــارس الحـــر ب زمـــاناً وعـــارك الأهـــوالا

وهــو، لا تــنس يملــك القمــم الشــ ... م وقـــد شـــاد في الجبـــال جبـــالا
بينمـــا نحـــن في العديـــد أقـــلا ... ء ونجـــداتُ خصـــمنا تتـــوالى
نحـــن لم نعـــرف التراجـــع يومـــا ... نحـــن لا نرهـــب الأذى والنكـــالا
غـــير أني اضـــن بالـــدم أن يـــذ ... هـــب هـــدراً فيخنـــق الآمـــالا
وجســـوم الأحـــرار تصـــبح أشـــلاء ... وفي البيـــــد أنَّـــــةٌ تتعـــــالى

الحاجب:

يا أمـــيري مـــاذا تقـــول مـــلأت النـــ ... ـــــفس غمـــــاً وحســـــرة وظـــــلالا
كـــم قليـــل بإذن ربـــك يُفـــني ... عـــــداً قـــــد يفوقـــــه أمثـــــالاً

شرحبيل:

قلـــت حقـــاً لكنـــني لا أغـــالي ... إن رأيـــت المعـــارك الســـود ســـودا
أنـــت تـــدري أني كتبـــت إلى الصـــ ... ـــدّيـــق مســـتنجداً فكـــان وئيـــدا
لســـت أدري لمـــا تأخـــر لا علـــ ... ـــماً عرفنـــا ولا رســـولاً مفيـــدا
ثم أرســـلتُ نحـــو ميمنـــة الأر ... دّن ادعـــو كتائبـــاً وجنـــودا
ولإخفـــاء ذلـــك الأمـــر ابقيـــ ... ت قلـــيلاً مـــنهم يجـــوب البيـــدا
مشـــرفاً تارة، وطـــوراً خفيـــاً ... وقريبـــاً حينـــاً وحينـــاً بعيـــدا
يعـــرف القائـــد المظفـــر همـــام ... القضـــايا قـــديمها والجديـــدا!
ثم يـــدعو مبكّـــراً لهجـــوم ... شـــامل زعـــزع الـــربا والصـــعيدا
وســـرايا أبي عبيـــدة مهمـــا ... أســـرعت، قبـــل ســـاعة لـــن تعـــودا
أنا في حـــيرة يصـــارعني اليـــأس ... وقـــد عـــانق الحديـــد الحديـــدا
طـــر إلى حومـــة القتـــال وجئـــني ... حـــاملاً علمهـــا الصـــحيح الاكيـــدا

الحاجب:

بـــدد الهـــم يا أمـــيري فـــإني ... ذاهب . . . . . .

شرحبيل:

. . . . لا تُطـــــلْ فـــــأبقى وحيـــــدا

(يخرج الحاجب)

شرحبيل: (وحده):

دعوتـــك اللهـــم هيّـــئْ لنـــا النصـــرا ... فقـــد نهضـــت لمـــا نفخـــت بهـــا
جنـــودك في الـــوادي تقاتـــل قيصـــرا ... وخلـــف الســـواد الخصـــب يتعبهـــا
دعوتـــك اللهـــم فأشـــددْ يميننـــا ... فأنـــت الـــذي تقضـــي وأنـــت الـــذي تـــدرا

(تدخل جمانة وبيدها كأس لبن)

جمانة:

في البـــاب مـــن ســـكان هـــ ـــذا الحـــي ســـيدةٌ فقـــيرةْ
جـــاءت لتشـــكو أمرهـــا والـــنفس ذابلـــة كســـيرةْ

شرحبيل:

جيئـــي بهـــا فمظـــالم الإنســـان والـــــــدنيا كثـــــــيرةْ

(تدخل العجوز مضطربة الخطا متوكئة على عصا تسعل سعالاً كثيراً جافاً)

العجوز:

ســـــلام لـــــك يا قيصـــــر . . . . . .

شرحبيل (مبتسماً):

. . . . . ســـــلام لـــــك يا خالـــــةْ
أرى الشـــــكوى بعينيـــــك . . . . . .

العجوز: (وما تزال يلازمها السعال)

. . . . . لحاهـــــا الله مـــــن حالـــــةْ

* * *

ســـطا يا ســـيدي شـــخص مـــن الجنـــد علـــى داري
وفـــرْ بنعجـــة بيضـــا تســـاوي عشـــر أبقـــار
لهـــا وافـــرة! ســـبحا ن ربي الخـــالق البـــاري
وضـــم دجاجـــة كـــبرى عليهـــا مـــدمعي جـــاري
وكيســـا مـــتقن الصـــنعة مـــن صـــوف وأوبار
حـــوى عشـــرين دينـــاراً تحـــاكي شـــعلة النـــار

شرحبيل:

تبـــاً لـــذاك الوغـــد مـــا أخبثـــه كـــدّري، والمصـــطفى، بلؤمه ....
أمـــا عرفـــت مـــا اسمـــه؟. . . ....

العجوز:

.... يا سـيدي نسيت أن اسـأله عن اسـمهِ!

شرحبيل:

هـل تعـرفين وجهـه وشـكله؟

العجوز:

. . . . . كـلا وقـد أخفـى معـاني رسمـه

لا يمكـن التفريـق بـين جمعكـم وجسـمكمْ، شـرفتمُ، كجسـمه

لكنمـا ثيابـه باليـة مشـؤومة، وا لهفـي، كشـؤمه

جمانة:

مـتى سـطا الأثـيمُ يا سـيدتي؟ ....

العجوز:

.... إمـا تـواري ليلنـا بنجمـه

جمانة:

هـل مـن عصـا غليظـة في يـده؟ ....

العجوز:

.... أجـل، أجـل، بلحمـه ودمـه

جمانة:

يا سـيدي لـيس الفـتى مـن يعـرب ولسـت أدري مـا لسـان قومـهِ

لكنـه ضـيفٌ أتـى ومعـه... ومعـه ....

شرحبيل:

.... هـاتي لهـذي السـيدةْ

خمسـين دينـاراً فقـد ترضـى بهـا ....

العجوز:

.... أدامـك الله بحـال جيـدةْ

شرحبيل:

عـودي إلينـا إن الـمّتْ محنـةٌ تلقـيْ أكفـاً للنـدى مجـردةْ

العجوز:

بـــــوركتم مـــــن أمـــــة كريمـــــة منصـــــورة مـــــن ربهـــــا مؤيـــــدةْ

(تخرج، يدخل الحاجب)

شرحبيل:

تكلـــــمْ مـــــا وراءك يا عصـــــام؟ ففـــــي عينيـــــك أخبـــــارٌ جســـــامُ

الحاجب:

أجـــل! نشـــب القتـــال فكـــان ناراً مزمجـــــــرة، يجلّلهـــــا القتـــــام
تميـــد لهـــا الـــربا فرقـــاً فتنـــزو ويـــــذكيها المثقـــــف والحســـــام
لهـــا مـــن كـــل مقـــترب وقـــود فمـــا فـــترت ومـــا فـــتر الزحـــام
وبينـــــا القـــــوم في أخـــــذٍ ورد وقـــد بشـــمت ســـيوفهُم وصـــاموا
أطـــلَّ أبـــو عبيـــدة في جيـــوش يحثحثهـــــا إلى الهيجـــــا غـــــرام
تكـــــبّر فالســـــفوح مـــــردّدات وتشـــدو فالفضـــاء لـــه اهتـــزام
وخاضـــت في اللهيـــب فـــلا كـــلال وقـــد حمـــي الـــوطيس، ولا ســـلام
ولكـــــن العـــــداة ذوي جيـــــوش يقصّـــــر عـــــن ضـــــخامتها الكـــــلام
يغـــذيها مـــن الرومـــان نبـــع وتمنحهـــــا روافـــــدها الشـــــآم
صـــفوفهمُ كمـــوج البحـــر تـــترى ومـــــوقعهمْ منيـــــعٌ لا يُـــــرام
نحـــاول أن ننـــالهم فتثـــني عزيمتنـــــا المعاقـــــل والســـــهام
وأصـــبح مـــن ضـــحايانا ركـــامٌ ومـــن أشـــلاء جيشـــهم ركـــام
فقطّبـــت الطبيعـــةُ وادلهمـــتْ وخـــفّ النـــور وأنســـاب الظـــلامُ
ولاح الجـــو اربـــدَ مكفهـــرا يغطـــي وجهـــه الصـــافي لثـــام
كـــأن الحـــزن أرهقـــه فأغضـــى ... .

شرحبيل:

... . ترفّـــق ويـــح قلبـــك يا غـــلام!
مـــلأت الـــنفس همـــاً وانقباضـــاً ألا أمـــــلاً يرجيـــــه الكـــــرام؟

الحاجب:

أجـــل أمـــلُ الشـــهادة في جهـــاد عنيـــف، بعضُـــه المـــوت الـــزؤام
فقـــد ضـــاقوا بجـــيش الـــروم ذرعـــاً وجـــيش الـــروم يدفعـــه انتقـــام
فظلـــــوا في أمـــــاكنهم أباة وللهيجـــــاء حـــــولهمُ اضـــــطرام
أبـــوا والنـــار تشـــويهم فـــراراً وأولى مـــــن فـــــرارهمُ الحِمـــــام
فـــودّع بعضُـــهْم بعضـــاً وقـــالوا (علـــى الـــدنيا ومـــن فيهـــا الســـلام)
ففـــي اليرمـــوك مجـــدهم صـــريعٌ وفي اليرمـــــوك قـــــبرهم أقـــــاموا

شرحبيل:

وهـــل تجـــدي إذا حلّـــت بقـــايا جيـــــوش أبي عبيـــــدةَ في ربانا؟

الحاجب:

لقـــد علـــم العـــدو بمـــا كتمنـــا ومـــا أخفـــى الأمـــير ومـــا أبانا
وأدرك أن في الأردن جمعـــــــاً صـــغيراً غـــاب قائـــدهُ فهـــانا
فأرســـل نحـــوه جيشـــاً عظيمـــاً فشـــردّه وقتّـــل مَـــنْ تـــوانى
فـــوا أســـفي علـــى أسْـــدٍ كمـــاةٍ أرادوا الـــدهر معـــوانا فخـــانا
لقـــد ظفـــر العـــدوُّ بهـــم وأضـــحى يجـــدّ الســـير ملتفـــاً ورانا
ليـــدرك ســـاقة الجـــيش المـــدمى ويســـبي دون مرحمـــة نســـانا
نراقبـــه وننتظـــر انقضاضـــا ولا نـــدري الزمـــان ولا المكـــانا
فمـــر يا ســـيدي فـــالموتُ جمـــرٌ يحـــاذر أن يلامســـه ســـوانا

(جمانة تحدث نفسها في زاوية من المسرح)

جمانة:

الآن أدركـــــت الـــــذي أخفيتـــــه يا دهـــــر عـــــني

وعرفـــــت أســـــرار التـــــآمر والتجســـــس والتجـــــني

ويـــــلاه مـــــا هـــــذا؟ أبي ينســـــاب في درك التـــــدني
يأتي ويـــــذهب لا يحـــــوم علـــــى المغـــــامر أيُّ ظـــــن
وأنا هنـــا مـــن غـــير قصـــد في الخبـــا شـــبه المجـــن
ســـهلت قتـــل المســـلمين وقـــد عمـــدت إلى التـــأني
وأنا الـــتي قـــد ســـببت خذلانـــه، ربي أعـــني!
وارحـــم إلهـــي إنـــني نـــدماً قرعـــت لـــذاك ســـني!
الـــذنب ذنـــب أبي ولـــ كـــن والـــدي يا رب مـــني!

الحاجب:

مـــــالي أراك مفكـــــراً تُبـــدي الجـــواب ولا تجيـــبُ

شرحبيل:

أني أفكـــــر في الخطـــــوب وكيـــــف تجتنـــــب الخطـــــوب
إني أفكـــــر كيـــــف أدرك ســـــرَّ خطتنـــــا الرقيـــــب؟
ودرى بأن جناحنـــــا في الجبهـــــة اليمـــــنى جـــــديب
يا بنـــــت، لمـــــا زارني همّـــــامُ، قائـــــدنا الأريـــــب

هـــل كـــان في هـــذا الخبـــا أو حولـــــه رجـــــلٌ غريـــــب

جمانة:

كـــــلا... أجـــــل كـــــلا! ....

شرحبيل:

.... إذن فالســـــر يا بنـــــتي رهيـــــب!
لا بـــــد لي مـــــن كشـــــفه وغـــــداً لنـــــاظره قريـــــب!
والآن لـــــيس أمامنـــــا إلا الفـــــرار أو الوثـــــوب!
نمضـــي إلى الصـــحراء منهـــزمين ترهقنـــــا النـــــدوب!
العـــار يســـبقنا ويلحقنـــا التوجـــــع والنحيـــــب!
وجبالنـــا تحـــني الـــذرى خجـــلاً وتلعننـــا الـــدروب
وبنـــوا أبينـــا كيـــف نتـــ ركهـــمْ يـــذيبهم اللهيـــب
جرحـــى تدوســـهم الجيـــاد يتمتمـــون ولا مجيـــب!
قتلـــى لأســـراب الطيـــور علـــى رؤوســـهم نعيـــب!
منقارهـــا يهـــوي علـــى مقـــل العيـــون فـــلا يخيـــب!
والمخلـــب الـــدامي علـــى القلـــب المســـجى لا يـــؤوب
والـــوحش خلـــف جموعهـــا لحـــم الأبـــوة يســـتطيب
تفـــري براثنـــه الحشـــا وتصـــب نقمتهـــا النيـــوب
ويـــلاه! ســـمّرني وحطـــم قـــوتي جـــرحٌ رغيـــب
هـــات الجـــواد فخـــافقي للحـــرب ملحـــاحٌ طلـــوب

جمانة:

أنســـيت يا مـــوالي مـــا أبـــدى ومـــا أســـدى الطبيـــب؟

شرحبيل:

المـــوت! مـــا أشـــهاه! إن المـــوت في الهيجـــا حبيـــب

جمانة:

حـــرس الله ســـيدي! ....

شرحبيل:

.... لا تخـــافي قـــد أبى الله أن أكـــون جبـــانا
أتلـــوّى علـــى الفـــراش وقـــومي تُعمـــل الســـيف كفُّهـــمْ والســـنانا
هـــزؤوا بالحيـــاة واســـتقبلوا المـــو ت وطـــاروا إلى اللظـــى عقبـــانا
لـــن تطيـــب الحيـــاة بعـــد كـــرام زيّنـــوا صـــفحة الهـــدى والزمـــانا!

(يحاول النهوض فتمنعه جمانة)

جمانة:

سـيدي لا تقـف فجرحـك مـازا ... ل طـريـاً وحقـه أن يصـانا
ينكـأ الجـرح إن نهضـت فتلقـى ... مـن خفـايا عذابـه ألـوانا
ثم تضـطر أن تعـود ... .

شرحبيل:

.... ولكـن ... جثـة، أو مظفـراً نشـوانا
إنـني خـارج إلـيهم فهـذا الـ ... سـيف مـا زال جائعـاً ظمـآنا

(يحاول النهوض فتمنعه)

جمانة:

تمهّـل وأرسـلْ نحـو معـترك الـوغى ... رسـولاً، لنـدري كيـف يتّجـه النصـرُ
عسـى فـرجٌ يأتي مـن الله إنـه ... لـه كـل يـوم في خليقتـه أمـرُ

شرحبيل:

صـدقتِ. فسـرْ يا حـاجبي واشـهد الـوغى ... وعـد مسـرعاً فالصـبر عـن خوضـها مـرٌّ
يحـاول قلـبي أن يكسـر أضـلعي ... ليمضـي بـلا إذن فيوقفـه الصـدر

الحاجب:

مطاعٌ أميري

(يخرج)

شرحبيل:

... أيـن شـاعر يعـرب ... لينشـد في هـذه الملاحـم قيصـراً
«وإن أناس لا نعـوّد خيلنـا ... إذ مـا التقينـا أن تحيـد وتنفـرا
وننكـر يـوم الـروع ألـوان خيلنـا ... مـن الطعـن حـتى نحسـب الجـون أشـقرا»

(لجمانة)

لقـد طمـع الرومـان فينـا جمانـة ... مـذ اكتشـفوا سـراً وأمـراً مـدبراً
وظنـوا بأنا نقبـل الأسـر بعـدما ... تجـرح منـا سـاعد وتكسّـرا
ونرضـى بأن نحيـا وقـد خـيم الـردى ... عبيـداً بأسـواقٍ نبـاع ونشـترى
ومـا عـرف الرومـان أن شـعارنا ... «نحـاول مجـداً أن نمـوت فنعـذرا»

جمانة:

وما بالكم تخشون شر جموعهمْ وجنحكم لما غزوا كان مقفرا
فما قتلوا إلا القليلين منكمُ وساروا فألفوا جيشكم متحذرا

شرحبيل:

لقد كان كشف السر يا بنتُ ضربةً تحطّم آمالاً وتدحر عسكرا
وتضمن للرومان نصراً مؤكداً ولو أن هذا النصر يبدو محيرا
فويلٌ لمن أفضى إليهم بسرنا سيلقى إذا أدركتُهُ الموتَ أحمرا
وأجعله في صفحة الدهر عبرةً ....

جمانة: (لنفسها)

.... إلهي تلطَّفْ واجعل الخطب أيسرا

شرحبيل:

أجل، هددوا لا ساقة الجيش وحدها ولكن نسانا والعتاد المؤخرا
نسانا! فياللعار إن ظفر العدا بهن وأبدى الخصم ثأراً وأظهرا
نسانا أسيراتٌ بقبضة أمة تعيش لتحيا في الفساد وتسكرا
نسانا اسيراتٌ «بأسواق رومة» يُبَعْنَ ويخدمن الجبان المصعَرا
يطفن بأكواب الشراب كوارهاً فوا ذلنا إن حظنا اليوم أدبرا

(يدخل الحاجب)

الحاجب:

مولاي ألفيتُ العدو مهاجماً وكأنه موج الخضم المزبد
أضفت علي من الغبار ملاءة دكناء لم تهدأ ولم تتبدد
ينساب تحت ستارها متدفقاً متدافعاً نحو الحسان الخرد
من كل علجٍ بالحديد مسربل ومغامر فظ الطباع معربد
مِلْنا عليهم بالسيوف وبالقنا ونبالنا تعمي العداة وتهتدي
والخيل ترهقهم فلم يتوقفوا ومشوا بكل تمرد وتهدد
وإذا بصيحات النساء تجاوبت وجموعهن تميد دون تردد
أنفَ الدمُ العربيُّ كلَّ مذلة فغلى، وثار على العدو المعتدي
فبدت أسرةُ وجههن وأشعلت نار الإبا في كل طرف أسود
فوثبن يحضضن الرجال على الردى حضاً، ويبعثن القوى في المجهد
وهجمْن يُعْملن المُدى وحجارة تنسي كميَّ القوم كلَّ تجلد
يجعلن أعمدة الخيام صوارماً وإذا اشتبكن فبالنيوب وباليد
عن عرضهن رددن كل مهاجم وعن العروبة والكتاب الأمجد
أوقفْن جيش الروم فهو مبلبل ....

شرحبيل: (مقاطعاً)....

أنعشـــــتَني حَـــــدّثْ بربـــــك وازددِ

الحاجب:

لكـــن بـــدا في الأفـــق غـــيمٌ زاحفـــاً عجـــلان يقصـــدنا بغـــير تـــردد
فلعلهـــا نجـــدات رومـــا أقبلـــت تزهـــو بكـــل مثقّـــف ومهنـــد

شرحبيل:

إليَّ بســـــيفي والجـــــوادِ فـــــإنني أرى العـــار أن أبقـــى رهـــين الســـتائر

جمانة:

تقيّـــدْ بأقـــوال الطبيـــب ولا تقـــف فجرحـــك موفـــور الأذى والمخـــاطرِ

شرحبيل:

أأبقـــى هنـــا؟! بـــئس النصـــيحُ إذا أبى علـــيَّ اقتبـــالَ المـــوت بـــين البـــواترِ
جمانـــةُ قـــولي للطبيـــب إذا أتـــى وأبـــدى اســـتياء مـــن جـــريحٍ مغـــامر
بأن جـــراح العـــرب لا تعـــرف الشـــفا علـــى غـــير مـــتن الســـابحات الضـــوامر

(ينهض ويمشي متثاقلاً)

شرحبيل: (للحاجب)

هـــات الجـــواد وعـــد لتحـــرس خيمـــتي وجمانـــــــــة، أســـــــــرع....

الحاجب:

.... مطـــــاع ســـــيدي

(يخرجان) (جمانة وحدها)

جمانة:

عفـــــوك اللهـــــم عـــــني إنـــــني نـــــدماً أبكـــــي فيكـــــويني النـــــدمْ
كلمـــــا فكـــــرت في أمـــــر أبي غـــــرزت في القلـــــب أنيـــــاب الألمْ
فـــــأميرٌ جرحُـــــه في خطـــــر وجيـــــوشٌ راح يطويهـــــا العـــــدم
ونســـــاءٌ في نضـــــالٍ راعـــــب يعجـــــز النطـــــق لديـــــه والقلـــــم
وأمـــــاني أمـــــة وثابـــــة بُـــــدّدت، وانهـــــدّ عنـــــوانُ الشـــــمم
لهـــــف المجـــــد عليهـــــا والهـــــدى والمواضـــــي والمبـــــادي والكـــــرم
ليتـــــني كنـــــت تـــــراباً، وأبي ليتـــــه كـــــان علـــــى الـــــدهر أصـــــم

الحاجب: (يدخل)

جمانـــــــة ربُّنـــــــا، بشـــــــراكِ، ذلُّ العـــــــــرب لم يُرضـــــــــه
فهـــــذا مـــــدد يقبـــــل كـــــل النصـــــــــر في بعضـــــــــه
أتانا خالـــــدٌ، بُشـــــراكِ، ســـــيف الله في أرضـــــــــــــــه

جمانة:

من خالد؟!

الحاجب:

... شـــــعلةٌ في الحـــــرب ملهبـــــةٌ روحُ البســـــالة والإقـــــدام تُـــــذكيها
تنـــير آفاقنـــا في الســـلم طلعتُهـــا والمـــوت يفـــزع منهـــا إذ يلاقيهـــا
بالأمـــس مـــال علـــى الصـــحراء منتقمـــاً فزلزلـــتْ فرقـــاً منـــه رواســـيها
عـــادت إلى الـــدين كرهـــاً بعـــدما نكثـــت عهـــد الكتـــاب وغالـــت في معاصـــيها
واليـــوم أرضُ العـــراق الخصـــب موطـــئُه وجيشُـــه مســـبطرٌ في مغانيهـــا
مـــاضٍ إلى الفـــرس يطـــوي عهـــد مجـــدهمُ ورايـــة النصـــر تحـــدوه فيُعليهـــا
والآن جـــاء بأمـــرٍ مـــن خليفتنـــا يـــذكي العـــزائم في الـــوادي ويحييهـــا
مـــن خالـــدٌ؟! بطـــلٌ تاه الزمـــان بـــه كـــبراً، وضـــجت لـــه الـــدنيا بمـــن فيهـــا
لم يبـــق في جســـمه شـــبر بـــلا أثـــر لطعنـــة أو جـــراح مـــات مبقيهـــا
هـــذي كتائبـــه أســـدٌ مجنّحـــة قـــومي اشـــهدي رقصـــتْ عجبـــاً مواضـــيها

(يتطلعان من جانب الخباء، أصوات نشيد، خيول تجري وهتاف)

يا جنـــود العـــرب يا أســـد الفـــلاة هـــل عـــرفتم في الـــوغى غـــير الثبـــات
بـــددوا شمـــل الطواغيـــت العتـــاة واحملـــوا للشـــام نـــبراس الحيـــاة

وأدخلوها بسلام آمنين

يا جنـــود العـــرب يا رمـــز الإباء انزلـــوا الرومـــان مـــن عليـــا الســـماء
واذبحـــوا الأعـــداء ذبحـــا بســـخاء يالثـــارات الضـــحايا الأبـــرياء

أنظروها من ظبي أسد العرين

الحاجب:

هـــــــــذي أناشـــــــــيدهمْ ....

جمانة:

.... نعم الأناشيدُ فيهـــا لهيـــبٌ وإيمـــان وتغريـــدُ

الحاجب:

أتنظـــرين؟ ألـــوف الخيـــل طـــائرةٌ إلى الـــوغى إن هـــذا اليـــوم مشـــهود

إن انتصـــرنا ففـــي الجـــوزاء منـــزلنا مشـــرّفٌ راســـخ الأركـــان مقصـــود
وإن غلبنـــــا ففـــــي البيـــــداء....

جمانة:

.... لا غُلبتْ فـــوارس مـــن روابيهـــا صـــناديد

الحاجب:

أتنظـــرين لقـــد مالـــت كتائبنـــا علـــى العـــدو كمـــا انقّضـــت جلاميـــد
أرخـــوا لخـــيلهمُ أرســـانها فجـــرت ســـيلاً لـــه كهـــزيم الرعـــد ترديـــد
أســـيافهم شعشـــعت تهتـــز عاريـــة وللنبـــال وقـــد أصـــمت أغاريـــد
وللرمـــاح اســـتباقٌ نحـــو غايتهـــا موتـــوره حققـــت ثاراتهـــا الصـــيد
لقـــد تضعضـــع جـــيش الـــروم وافرحـــا وللطيـــور علـــى أشـــلائه عيـــد
النصر حالفنا حقا...

جمانة:

.... ولا عجـــــــــبٌ أن حققـــت في الـــوغى آمالهـــا البيـــدُ
فهـــي الـــتي تُنبـــت الأســـياف ماضـــية وهـــي الـــتي في حماهـــا ينبـــت الجـــود

الحاجب:

أنقـــذْتَ صـــحراءنا يا ابـــن الوليـــد أجـــل أنقـــذتها والمنـــايا حولهـــا ســـود
لله درك مـــا أسمـــاكَ مـــن بطـــل فـــذٍّ نمـــاه الأبيـــون الأماجيـــد

قومٌ....

جمانة: (مقاطعة):

.... دع القـــوم، وانظـــرْ تلـــك خـــيلكمُ جنّـــتْ، فحـــظ بـــني الرومـــان منكـــود
تنســـاب في جنبـــات الســـفح غـــائرة كأنمـــا هـــي تـــدعوها المواعيـــد
تراجـــع الـــروم مـــذعورين يُـــرهقهم والمـــوت منتصـــب، ســـحقٌ وتشـــريد
تراجعـــوا هـــا هـــمُ أخلـــوا معـــاقلهم فرّوا وبابُ النجـــاة الرحب مسود

الحاجب:

فـــروا. أجـــل حقّقـــتْ آمـــال أمتنـــا وعزمهـــا، ونجـــت وافرحتـــا الغيـــد
فاستبشـــري يا شـــعوب الأرض قاطبـــة بنـــا لـــواء الهـــدى والعـــدل معقـــود!

(نشيد)

أحدهم:

ضمـــــــــــوا الصفـــــــــوف إلى الصفـــــــــــوف لكي نفـــوز وكبَّروا

الجميع:

الله أكبر!...

أحدهم:

يا أيهـــــــــا الشـــــــــجعان نصـــــــــر جـــــــــاءكم فاستبشـــــــــروا

الجميع:

الله أكبر!...

المشهد الأخير

(الأمير خالد، شرحبيل، الحاجب، جمانة)

شرحبيل:

هـــــــذا خبـــــــائي يا أمـــــــير وذي ممرضـــــــــتي الـــــــــرؤوم

خالد:

حيّـــــــــــاكِ ربي إن فضـــــــــــــ لـــــك يا ابنـــــة الـــــوادي عمـــــيم
وأعاننـــــــــا حـــــــتى نكـــــــا فيء مـــــــن علـــــــى ودٍّ يقـــــيم

جمانة:

مولاي شكراً

(تسمع ضجة في الخارج)

شرحبيل:

.... مـــــــا القضـــــــية؟

(الحاجب يخرج ويعود مستعجلاً)

الحاجب:

.... أنـــــــه أمـــــــر جســـــــيم!
في قبضـــــــة الأرصـــــــاد جـــــــا سوســـــــان شـــــــرهما قـــــــديم

شرحبيل:

فليدخلا!

جمانة: (لنفسها):

قلـــــــــــبي يحـــــــــــدثني بأن أبي هـــــــــو الآن الغـــــــــريم

خالد: (لأحد الحراس):

وكيـــــف علمـــــتم ســـــر هـــــذين

الحارس:

.... ســـيدي رأيناهمـــا في الكهـــف يختبئـــان
ولمـــــا دخلنـــــاه وجـــــدنا ثلاثـــــة حـــــديثهم يبـــــدو بغـــــير لســـــان
فجئنـــا بهـــم والشـــكُّ يغمـــر أمـــرهم

خالد:

.... ولِمْ كنتما في الكهف تختفيان؟

فامي:

هربنـــا مـــن الهيجـــاء والمـــوت عـــابس ومـــن فيصـــلٍ مـــاضٍ ووقـــع ســـنان
ولمـــا دخلنـــا الغـــار لم يـــك خاليـــاً وفيـــه الفـــتى هـــذا جـــريح عـــوان

شرحبيل:

جـــريح؟ خـــذوه واعتنـــوا بجراحـــه!
(وإلى الجاسوســـــــــــين)... ... لماذا أرى الشيخين يلتثمان؟

(يزيحان اللثام ببطء)

شرحبيل: (لقالون):

رويـــداً فهـــذا الوجـــه أعرفـــه مـــتى؟ وأين؟ يدا المسكين ترتجفان

قالون:

غريـــب أنا عـــنكم وعـــن كـــل جيشـــكم

الحاجب:

.... وعني أنا؟ هل أنت في هذيان؟
ومـــن كـــان قبـــل الفجـــر يا صـــاح ضـــيفنا؟

قالون:

.... أنا؟! ....

الحاجب:

.... أنـــــــــت ....

شرحبيل:

.... مهـــــــلاً ســـــــوف يعترفـــــــان
نعم أنت قالون

جمانة:

اعترف آه يا أبي!

شرحبيل:

.... ألم تعرفي المحتال قبل ثوان؟!

جمانة:

كتمتُ ومن حقي....

خالد:

.... لغـــوزٌ غريبـــة أبِـــنْ، إننـــا في الـــرأي مشـــتركان

شرحبيل:

لزمـــتُ فراشـــي والجـــراح ثخينـــة يعـــذب صـــبحي وخزهـــا ومســـائيا
وبينـــا أنا في لجـــة الـــيم غـــارق يـــذيب الأسـى قلـــبي فأشـكو انفـــراديا
أتاني الفـــتى قـــالون مـــع بعـــض قومـــه يؤاســـي، فخلفـــت الهمـــوم ورائيـــا
وحـــدثني أنْ ســـوف يرســـل بنتـــه إذا شـــئتُ، تأســـو في الخبـــاء جراحيـــا
فجـــاءت وكانـــت آيـــة في اعتنائهـــا تبـــدّد آلامـــي وتُنســـي شـــقائيا
وكـــان أبوهـــا كـــلَّ حـــين يـــزورني صـــديقاً، نظيـــف الـــراحتين، مُواليـــا
ولم أدر إلا الآن أن حبـــــــــــائلا تُعَـــدُّ، ويطغـــى شـــرها في خبائيـــا
إلى الـــروم أســـراري الخفيـــة أُرســـلتْ وكـــان صـــباح اليـــوم لـــولاك قاضـــيا
علينـــا، علـــى أبطالنـــا ونســـائنا وقـــد ســـحق الجـــيش المغـــير جناحيـــا

الحاجب:

رأيـــت قبيـــل الفجـــر حـــول خبائنـــا عجـــوزين. هـــذا والصـــديق المرائيـــا
ظننتهمـــا والجـــو مـــا زال قاتمـــاً فقـــيرين جـــاءا يســـتدران عاطيـــا
لقـــد خـــدعاني فاســـتراحا وأُطعمـــا وفـــرّا وقـــد لبيـــتُ داعـــي صـــلاتيا

شرحبيل:

عرفـــت بـــلا شـــكٍّ أباك مخادعـــا وكنـــتِ لـــه عـــوناً ليهـــرب ناجيـــا

جمانة:

نعـــم غـــير أني مـــا عرفـــت مـــراده ولا خطـــر الســـر الـــذي كـــان خافيـــا

أتـــى زائـــراً لـــيلاً ولم أدر قصـــده ونام هنا....

شرحبيل: (مقاطعاً)

.... بـــل ظـــل ســـهران واعيـــا
وأدرك مـــا أعلمـــتُ همّـــامَ قائـــدي بـــه فاغتـــدى بالسـر والأمـــر فاشـــيا
وهـــذا شـــريك لا يقـــل خطـــورة أكنـــتِ لهـــم عـــوناً، وترســـاً مـــواريا؟
ســـألتكِ عمـــن جـــال حولنـــا خبائنـــا وهـــل تعـــرفين الخـــائن المتـــواريا
فـــأنكرت لا شـــيخاً رأيـــتِ ولا فـــتىً وكـــلا. أجـــل كـــلا. أجبـــت ســـؤاليا

خالد:

إن الأدلـــــة يا أمـــــير مدينـــــة فـــاحكمْ وأنـــت بمـــا قضـــيت مفـــوّضُ
شـــركاء في جـــرم فظيـــع مـــؤلم ذكـــراه تمضـــي بالحلـــوم وتـــرمض

شرحبيل: (لقالون)

مـــن أنـــت؟ قـــل! مـــاذا فعلـــت؟

قالون:

.... ترفّقـــوا أني لمعـــترف لكـــم ومفصّـــلُ
إني أقِـــر، ولي بحلمـــك مطمـــعٌ ولصـــاحبي بجميـــل عفـــوك مأمـــل
أبصـــرت نـــور الشـــمس في هـــذي الـــربا ونشـــأت بـــين ربوعهـــا أتنقّـــل
وعرفـــتُ مـــن أرض المدينـــة غـــادة عربيـــة، بـــردا الفضـــائل ترفـــل
كانـــت لي الـــزوج الـــرؤوم وأنجبـــت بنتـــا لهـــا بـــين الجـــوانح منـــزل
أسميتهـــا مـــرتا فلـــم تقبـــل بـــه زوجـــي، وأسمـــاء البـــداوة أجمـــل
ظلّـــت إلى صـــحرائها أميالُهـــا وأنا إلى رومـــا العظيمـــة أميـــل
غلبـــتْ وأسمتهـــا جمانـــةَ يثـــربٍ وجمـــانتي أنقـــى البنـــات وأكمـــل
وســـلكتُ في طـــرق التجســـس يافعـــاً وظللـــت الـــتقط العلـــوم وأنقـــل
حـــتى جرحـــتَ فقلـــت ســـوف تعينـــني بنـــتي علـــى مـــا أرتجيـــه وأفعـــل
جـــاءت فكانـــت حجـــتي وذريعـــتي ونجحـــتُ في الأمـــر الـــذي أتأمـــل
فنقلـــت للرومـــان خطـــة جيشـــكم فمضـــوا بمـــا أوصـــيتكم وتوغلـــوا
أمـــا ابنـــتي فبريئـــة مظلومـــة في مثـــل هـــذا الأمـــر لا تتـــدخل
كانـــت أداة في يـــديَّ وإنهـــا بطـــويتي ورهيـــب ســـري أجهـــل

خالد:

هذا رفيقك؟

فامي:

... . لم أكـــــــــن برفيقـــــــــه

شرحبيل:

لكـــن فـــتى مـــن أجـــل رومـــا يعمـــل
لا يصـــــحب الجاســـــوس إلا مثلـــــه أوضح!

قالون:

نعـــم قـــد كـــان مثلـــي يختـــل

خالد:

ما رأيكم بفتاته؟

شرحبيل:

... . مهمـــــــــا يكـــــــــنْ إطلاقهـــــا أوّلى لـــــديَّ وأفضـــــل
لكـــــنّ قتـــــل الآخـــــرين ضـــــرورةٌ إن لم نبـــدْ فـــالأمر قـــد يســـتفحل

جمانة:

ألمـــــا تؤكّـــــد يا أمـــــير بـــــراءتي وأنّيّ في نصـــــر العروبـــــة أطمـــــعُ؟!
نشـــأتُ علـــى حـــب لهـــا وحماســـة يغـــذيهما قلـــبٌ وأمٌ ومســـمع
أتيـــت ولم أحفـــل بقـــول وُشـــاتنا وقـــد ســـودوا بـــيض الفعـــال وشـــنعوا
وعنـــدي عـــن العـــرب المغـــيرين صـــورةٌ مشـــرّفة أرواحهـــا تتضـــوّع
أتيـــت لأقضـــي واجبـــاً يســـتحثني أخفـــف آلام الأمـــير وأشـــفع
لقـــومي، إذا مـــا خـــاب ظـــنّيَ فـــيكمُ فلـــم ألـــق إلا مـــا يـــزين ويرفـــع
حبوتـــك عطفـــي واهتمـــامي وراحـــتي وفيـــك لأنيـــاب المنيـــة مطمـــع
ســـهرتُ عليـــك الليـــلَ والأهـــلُ نـــوّمٌ ونجـــم الســـما في حـــيرة يتطلـــع
ســـهرتُ ولـــو شـــئتُ الأذى مـــا منعتـــني ولا الحـــارس الشـــاكي ببابـــك يمنـــع
ولـــو شـــئت إفشـــاءَ الخفـــايا فإنهـــا إلى أذن الرومـــان أمضـــى وأســـرع
أقـــوم بهـــا وحـــدي وفي البيـــت والـــدي اعـــز منـــالاً مـــن عقـــاب وامنـــع
وحقـــــك يا مـــــولاي إني بريئـــــة وإني مـــن بـــيض الأزاهـــر أنصـــع
ولكـــــن أبي وهـــــو المقـــــر بذنبـــــه إلى جـــودك الســـامي وحلمـــك يفـــزع

شرحبيل:

أبى الحـــق أن يلقـــى لـــدى شـــفاعة

قالون:

بربـــــك يا مـــــولاي أني أضـــــرع

ألا أرحـــمْ دمـــوع الخـــاطئين ولا تكـــن عجـولاً، وصـدرُ السـادة العـرب أوسـع

شرحبيل:

أجـــل صـــدرنا مـــا شـــاء ربـــك واســـع ولكنـــه مـــن مـــر ســـعيك مـــترع

جمانة:

بحقـــك لا تغضـــب ولا تَـــكُ حاقـــداً فإنـــك أسمـــى يا أمـــير وارفـــع
أبي مـــذنب لكـــنّ مثلـــك مَـــنْ عفـــا ومثلُـــك في الـــجُلّى يضـــر وينفـــع
أبي مجـــرمٌ لكنـــه ظـــل والـــداً لمـــن كرهـــتْ نومـــاً وجفنـــك موجـــع
تســـامرها بـــيضُ النجـــوم وقلبهـــا كســـيرٌ، وفي العينـــين ســـهد وأدمـــع
تشـــاطرك الهـــم الـــذي أنـــت حامـــل وتبعـــث فيـــك العـــزم والجـــرح مفـــزع
فـــلا تُفســـدنْ يومـــاً بـــه النصـــر ضـــاحكٌ وفيـــه المـــنى مـــن منهـــل العـــز تـــترع
بقتـــل أثـــيم لم يوفـــق بكيـــده وكســـر فتـــاة مـــن أذى العـــار تضـــرع

شرحبيل:

أجـــل أنـــتِ في خيمـــتي تســـهرين تـــذوقين مـــا ذقتـــه مـــن ألمْ
ولكـــن عـــين أبيـــك الشـــقي عـــن الكيـــد والهـــدم لمـــا تـــنم
يضـــاحكنا في النهـــار البصـــير ويســـرق أســـرارنا في الظلـــم
ســـقانا مـــن اليـــأس مـــر الشـــراب وروى الصـــحارى دموعـــاً ودم
فكـــاد وقـــد نشـــطت ريحـــه يحطـــم آمالنـــا والهمـــم

جمانة:

إذا لم يســـع عفـــوُكمْ مثلـــه فـــأين الحلـــوم وأيـــن الكـــرم؟!

شرحبيل:

أعفـــواً وهـــذي الـــروابي الغضـــاب تطالبنـــا أن نصـــبّ الـــنقمْ؟!
أعفـــواً وهـــذي ضـــحايا الخـــداع يضـــيق بهـــا المنحـــنى والقمـــم؟!
أعفـــواً وأيتامنـــا يصـــرخون عطاشـــاً إلى الثـــأر ممـــن ظلـــم؟!
أعفـــوا وقـــد خـــان أرضـــاً نمتـــه يظللـــه فيؤهـــا والـــنعم؟!
أبـــوك علـــى نفســـه قـــد جـــنى ولـــيس يفيـــد الرجـــا والنـــدم
ربيـــب التجســـس في العســـكرين وفي أمـــم الأرض لا يُـــرتحم

ج

جمانة: (لخالد):

يا سـيدي هـلا تلـين لـذلتي اني أكـاد مـن التوجـع أقتـل
أخصـص بعفـوك والـدي واسـتبقه

خالد:

تجـزى النفـوس بمـا تقـول وتفعـل
لأبيـك مـا بـت الأمـير بشـأنه ولك ....

(جمانة تترنح)

خالد: (للحاجب)

انتبـه مـا بالهـا تتحـول

(تسقط مغشياً عليها)

قالون:

بنتي!

شرحبيل:

احملوها للطبيب

(تحمل وتخرج)

قالون:

.... وحيـدتي

شرحبيل:

الـذنب ذنبـك يا لعـين أتجهـل؟

قالون:

أواه يا بنـتي، الـوداع، فـإنهم لـن يرحمـوا شـكواك أو يتمهلـوا
بنـتي اغفـري لأبيـك زلتـه الـتي خلعـت عليـك مذلـة لا تُحمـل

شرحبيل:

قضـت العدالـة أن تمـوتا والـردى لـذوي الخيانـة والتجسـس منهـل
للمـوت حـالاً يا جنـود خـذوهما والسـيف أمضـى في القصـاص وأعـدل

(يؤخذان) (يدخل الحاجب)

الحاجب:

مـولاي عـادت للحيـاة جمانـة لكنهـا تـذري الـدموع وتعـول

وتصـــــبح إيـــــن أبي أريـــــد وداعـــــه وتكـــــاد مـــن عظـــم المصـــيبة تخبـــل

شرحبيل:

أوصـــــل جمانـــــة يا عصـــــام لأهلهـــــا محروســـــة أســـــرع فليلـــــك مقبـــــل
واحمـــلْ إليهـــا كـــلَّ مـــا ملكـــت يـــدي وارفـــق بهـــا، فلعلهـــا تتجمـــل

(يخرج للحاجب)

خالد:

والآن هيـــا فقـــد حنّـــتْ جوانحُنـــا إلى دمشـــق ونادتنـــا المواعيـــد
إلى دمشـــق الـــتي في الحـــرب يُطربهـــا وقـــعُ الســـلاح وفي الســـلم الأغاريـــد
إلى دمشـــق الـــتي في ظـــل دوحتهـــا شـــاب الزمـــان، ومـــا تـــذوي الأماليـــد

شرحبيل:

مُـــرنا تجـــدْنا كمـــا تهـــوى، صـــنائعنا بـــيض، وأيامنـــا في خصـــمنا ســـود
فـــلا الجـــريحُ جـــريحٌ في عســـاكرنا إمّـــا دعـــوت، ولا المفـــؤود مفـــؤود

خالد:

هيـــا إذن فلقـــد حنـــت جوانحُنـــا إلى دمشـــق ونادتنـــا المواعيـــد
إلى دمشـــق الـــتي في الحـــرب يطربهـــا وقـــع الســـلاح في الســـلم الأغاريـــد

(يسدل الستار)

الفهرس

مقدمة ٣

أهواك .....

ليتني أنسى.....

عودي .....

العلم العربي .....

قلعة صلخد .....

نداء .....

لا تلومي .....

لست أدري .....

٦ أيار .....

لبنان مرحى .....

ذكرينا .....

يا بلادي .....

تحية لبنان .....

أخاف .....

حنين .....

يومك اليوم .....

الصفحة الأخيرة .....

اليرموك.. مسرحية شعرية .....